

شحاته هارون

يهودي
فني
القاهرة

يهودى فى القاهرة

موقف مبسدى

يهودى
فى القـــاهرة

الطبعة الأولى ١٩٨٧
حقوق الطبع
محفوظة للمؤلف

توزيع
دار الثقافة الحديثة
٣٢ ش صبرى أبو علم (القاهرة) ت : ٧٤٢٨٨٠

الغلاف للفنان : عبد المنعم القصاص

شحاته هارون

يهودي

فنى

القاہرة

الى من وهباني الحياة

أبى وامى

الى من أرشدنى الى مفتاحها

هنرى كوريسيل

الى المسبورة الشجاعة

زوجتى مارسيل

الفصل الثاني

« في مكان الصدارة بين جميع القضايا السياسية المطروحة في الوقت الحاضر تأتي القضيتان : قضية الخبز وقضية السلام »

لينين

« صراع الطبقات هو محرك التاريخ »

کارل مارکس

ان معيار الشيعوى الحقيقى ثقته فى الاتحاد السوفيتى

... (أول دولة للكادحين في تاريخ الانسانية) .

جورج دیمیتروف

« السياسة هي ذلك النشاط الذي يستند الى المعرفة العلمية
للبنيان الاجتماعى والقوى المتفاعلة فيه وعلى اساس من هذه
المعرفة يعمل على تغير المجتمع (والعالم) وتغيير حال
العلاقات بين البشر . والسياسة ، بهذا المعنى ، هي ارقى
اشكال النشاط الانسانى اذ به نتعرف على عالمنا من اجل
تغييره » .

بالمرو تولياتى

« الحياة هي اعلى ما يملكه الانسان ، لا تعطى له سوى مرة
واحدة ، ومن ثم عليه ان يحياها بحيث لا يندم آسفا على
السنوات التى يكون قد عاشها هباءا وهذرا وبحيث
لا يخجل من ماضيه الخسيس ويستطيع ان يقول اذا انته
المنية ، وحل كتابه : كرسى حياتى وقواى من اجل واسمى
عمل : من اجل النضال فى سبيل تحرير الانسان » .

نيكولاى اوستروفسكى

نص رسالة وجهتها الى جمال عبد
الناصر عقب خطابه بمناسبة
عيد الوحدة في ٢٨
فبراير ١٩٦٧
..... وكانت النتيجة ان
اعتقلت في ٥ يونيو ١٩٦٧
مع غيرى من اليهود المصريين

مذكرة حول أحد مظاهر وحدة القوى الثورية

في إطار الصيفة الجديدة المطروحة اليوم على منطقنا للمعركة الدائرة بين الاستعمار والرجعية والعنصرية الاسرائيلية من جهة وبين القوى النورية من الجهة المقابلة فما من شك أن للتقدميين من اليهود دورهم الايجابي ومكانهم بين صفوف القوى الثورية .

وعن ادراك واع بالوضع الراهن أرى أنه لابد من أن يضموا صراحة الى باقى القوى الثورية لمساعدتهم على تعبئة الجماهير اليهودية فى معركة لتحرير والديموقراطية والاشتراكية .

وعن ذات الادراك أرى أن رفض القيادة الثورية لهذا الواقع أو تجاهلها له أو عدم اعترافها به إنما يشكل ثغرة ذات خطورة على الجبهة .

فمنذ ١٩٤٨ والحكومات العربية تسلك نحو مواطنيها من اليهود

أو المستوطنين أو المقيمين بها سلوكا أدى الى مد دولة اسرائيل
بـ ٦٠ أو ٦٥٪ من عتاها البشرى ؟ ؟ ؟ .

ولم يتغير هذا السلوك مع التحولات الجذرية ، الثورية التى
حدثت فى بعض البلدان العربية ، مما أسبغ على حكوماتها
التقدمية شبهة أو ظلال من العنصرية تتناقض تناقضا صارخا مع
امتثالها للمبادئ الاشتراكية بل وللإشتراكية العلمية .

وحقا فان لم يكن هناك من مبرر منذ البداية لهذا السلوك
فاليوم مع الاشتراكية أضى تبريره صعبا بل مستحيلا .

وكيف أستطيع وأنا المولع بثورتنا وأنا المقدر عن وعى صادق
وعميق للدور التاريخى والخلق الذى يلعبه جمال عبد الناصر والقيادة
الثورية ، كيف يمكننى أن أواجه أو أقنع من حولى من اليهود وغيرهم
— على اختلاف مداركهم ومع تباين درجات وعيهم — بما أؤمن به :
السياسية الانسانية ، والبناء للجمهورية العربية المتحدة

كيف يمكننى أن أعلل (سياسيا) :

— أنى (وغيرى من اليهود) محرووم من واجب الخدمة
العسكرية .

— أنى (وغيرى من اليهود) لا أستطيع مغادرة البلاد الانهائيا
بعد التنازل عن الجنسية المصرية ؟ أو عن الإقامة بمصر .

— أنى (وغيرى من اليهود) محرووم من حق العمل فى
المؤسسات العامة .

كيف أعلن (سياسيا) :

— كلمة « يهودى » المضافة الى جانب بيان الجنسية فى بطاقات العمل التى تصرف للأجانب من اليهود .

— عبارة (متزوجة من يهودى) الى جانب جنسية الزوجة غير اليهودية لتسحب اليها التدابير المتخذة ضد زوجها اليهودى .

كيف أعلن أن يتضمن القانون نصا صريحا على اعتبار « اليهود » فى القائمة السوداء (تراجع المادة ٧ فقرة ثامنا من قرار وزير الداخلية رقم ١٨٣ لسنة ١٩٦٤ المنشور بالوقائع المصرية عدد ٩٤ الصادر فى ٢٦/١١/١٩٦٤) . . . الى غير ذلك من من الامثلة مما أعلمه ولا أعلمه . .

سيدى الرئيس

انكم لتدركون مدى حرجى السياسى — الى جانب الى النفسى — من هذه التدابير التى تعد من رواسب ماض بغيض أعلنتم عن حتمية محوه وتعملون من أجله .

وقد حرصتم عند استقبالكم لوالتر أولبريخت — رئيس جمهورية ألمانيا الديمقراطية — على توضيح الآتى :

« والجمهورية العربية المتحدة على لسان وفودها الحكومية وغير الحكومية طالما أعلنت وتعلن وطالما أكدت وتؤكد فى المؤتمرات الاقليمية والدولية أنها تكافح التمييز العنصرى بشتى صورته » .

كيف يمكن التوفيق بين ما يعلن ويقال وما يجرى فعلا وعملا مثل تلك التدابير الخفية وغير الخفية التى تحز فى النفس وتغضب وتؤلم وتذل .

سيدي الرئيس

أن حكومة اسرائيل تعامل العرب وحتى اليهود منهم معاملة
عنصرية ولكنها حكومة ديكتاتورية عسكرية ، عنصرية تعلن ،
بمنطقها ، تأييدها للاضطهاد العنصري في أفريقيا الجنوبية وللوحشية
الامريكية في فيتنام

ولن ينهض اضطهادها للعرب تبريرا لتلك التدابير التي ما تزال
تشوه جلال اشتراكيتنا .

سيدي الرئيس

لقد أقدمت على كتابة هذه المذكرة ومضمونها يخالجنى منذ أمد
بعيد .

ولقد أحسست أخيرا ومنذ خطابكم (الهائل) في عيد الوحدة أن
الظروف قد نضجت لكي يعلن بالطريقة التي ترونها وفي الوقت الذي
تختارونه — وأنتم خير مؤقت : أن وحدة القوى الثورية لا تحتل أى
استثناء أو أى إقصاء لجزء من تلك القوى الثورية يكون مرده الى
الى اختلاف في الاصل أو الدين .

غير أن الذي لا يحتمل أى تأخير فهو أن تلغى فورا تلك التدابير
والتعليمات المعلنة وغير المعلنة التي يعامل اليهود على مقتضاها تلك
المعاملة الشاذة البغيضة .

وانى اطالبكم وأنتم القائد الثورى ، الواعى أن تناضوا أيضا
من أجل اقناع الحكومات العربية التقدمية أن تنحو هذا النحو ففى
هذا كسب لقضية الحرية والديموقراطية والاشتراكية وفى هذا كسب

لجماهير واسعة على الصعيد الاقليمي والدولي وفي هذا كسب
عن طريق حرمان الاستعمار والعنصرية الاسرائيلية من اهم دعائم
دعايتها .

وبعد

فهذا راى الذى اومن به . اعرضه على قيادتي السياسية
مستعدا ان اذاع عنه امامها معتبرا نفسى جنديا قبل عن اقتناع
وعن وعى ان تكونوا له قائدا فلكم بل عليكم ان تضموه الى صفوفكم .

المواطن

شحاته هارون

مقال نشر في مجلة « الطليعة »
عدد ١٠ (أكتوبر ١٩٧٤)
... ولعل احدى نتائجه أن قبض
على في ٢ يناير ١٩٧٥ في القضية
رقم ١٠٠/١٩٧٥ حصر أمن دولة عليا.

الاطار العام للعلاقات الامريكية الاسرائيلية

العلاقة بين أمريكا وبين اسرائيل تحكمها مصالح اجتماعية وطبقية في البلدين . وهذه المصالح تتحرك في اطار اوسع من الصراعات الدولية : التناقضات بين معسكر الاشتراكية وبين معسكر الرأسمالية ، والتناقضات بين بلدان البلاد الرأسمالية نفسها ، والتناقضات بين بلدان الشرق الاوسط . . رئيسية كانت أو ثانوية .

والمدخل الصحيح لفهم العلاقات الامريكية - الاسرائيلية ، هو تحديد استراتيجية السياسة الخارجية الامريكية . ويمكن تحديدها في نقطتين :

تتعلق الاولى بهدف هذه السياسة الذي يمكن ايجازه في : حماية احتكاراتها . فالسياسة الخارجية ، امتداد لسياسة كل دولة في الداخل ، وانعكاس لصراعاتها الطبقية وموازينها داخل المجتمع . ولما كان المجتمع الامريكي يخضع لسيطرة الاحتكارات الكبرى - مع اختلاف مصالحها الاقتصادية المباشرة - فان هدف

السياسة الخارجية الامريكية يرمى بالتالى الى حماية هذه المصالح .
وذلك يفسر لنا حقيقة أنه منذ الحرب العالمية الثانية ، يختار وزير
الخارجية الامريكى من بين السياسيين المرتبطين — بشكل او بآخر
— بالمصالح الاحتكارية الأكثر نفوذا على المستوى الاقتصادى .
وفى المقام الاول بمجموعة روكفلر الذى عين عميدها اخيرا نائبا
لرئيس الولايات المتحدة . وهنا تتضح أيضا دلالة أن من بين من
يرشحهم كيسنجر لتولى منصب قيادى فى وزارة الخارجية ، دافيد
روكفلر رئيس مجلس ادارة بنك شيزمنهاتان .

فى هذا الصدد ، كتب جيمس ريستون المعلق السياسى لجريدة
« نيويورك تايمز » (سبتمبر ١٩٧٤) يقول أن خمسة عشر من بين
عشرين من سفراء الولايات المتحدة فى أوروبا الغربية ، من رجال
الاعمال عينهم نيكسون نظير ما قدموه له من خدمات .

وتتعلق الثانية بمصالح الاحتكارات السائدة . فمصالح
مجموع الاحتكارات الامريكية ليست ، متوافقة فيما بينها ، فيحكم أنها
مصالح مادية ، فهى متناقضة ، وبالتالي فان سيطرة بعض المصالح
على الأخرى فى وقت ما ، قد يغير — فى هذا الوقت المحدد — من
اتجاه السياسة الخارجية الامريكية .

ويمكن أن نميز فى الولايات المتحدة ، بين ثلاث مجموعات هامة
ورئيسية من الاحتكارات فى الوقت الحاضر :

● **مجموعة احتكارات الصناعات الحربية التى يعتمد انتاجها**
اساسا على تنفيذ ما تتعاقد عليه الحكومة من اسلحة سواء لنفسها
أو لحساب توابعها من الدول (اسرائيل — فيتنام الجنوبية الخ)
التي ترى مصلحة فى تزويدها بالسلاح .

● **مجموعة الاحتكارات التى تهتم اساسا بالبيع والاستثمار فى**

الخارج ، أو التى يتجه نشاطها نحو تصريف جزء كبير من انتاجها للخارج ، وهى بالتالى فى حاجة الى ضمانات سياسية مناسبة لحماية مصالحها (عوائد استثمارات ، أو صادرات) لدى الدول الاجنبية .

● **مجموعة الاحتكارات صاحبة الاستثمارات الكبرى فى الداخل (الولايات المتحدة نفسها)** وهى تميل اكثر ما تميل الى الاستقرار الاقتصادى الداخلى اكثر مما تهتم بمشكلات السياسة الخارجية .

ولقد سادت مصالح المجموعة الاولى خلال سنوات الحرب الباردة وحرب فيتنام ، وحقت ارباحا خيالية بالمقارنة التى غيرها من الاحتكارات الامريكية ، ومما ساعدها على ذلك ، المستوى العالى جدا لتركيزها وعلاقاتها الوثيقة جدا بوزارة الحربية الامريكية (البنتاجون) .

ومن ثم كان تأثيرها على السياسة الخارجية الامريكية اعظم بكثير من وزنها فى الاقتصاد .

وجدير بالملاحظة أن مصالح المجموعات الثلاثة متشابكة ومع هذا ومنذ اوائل السبعينات بدأ نفوذ المجموعة الثانية بتعاظم . وتوضح الاحصاءات الرسمية أنه من بين الالف الاولى من الشركات الامريكية ، فان ٢٠٠ منها قد حققت حتما كليا من الاعمال ويمثل ٥٠ فى المائة من نشاطها ، فى الاستثمارات الخارجية ، والحجم الكلى لارباح الشركات الامريكية من انتاجها الحربى وتصدير رؤوس أموالها انما يمثل ٥٠ فى المائة من ارباحها فى السنوات الاولى من السبعينات . وتتسكل هذه الارباح الاساس المادى الرئيسى لتطبيق وممارسة السياسة الخارجية الامريكية . وقد بدى أخيرا أن بنيان

هذه المصالح يتبدل في غير مصلحة مجموعة احتكارات
الصناعات الحربية وهذا عامل عام في تشكيل استراتيجية السياسة
الخارجية الامريكية خلال السبعينات .

الصراع الاجتماعى العالمى .. والسياسة الخارجية الامريكية

تتسم خريطة السياسة العالمية اليوم بالآتى :

● تعاضد مضطرد لقوة المجموعة الاشتراكية (بقيادة الاتحاد
السوفيتى) سياسيا واقتصاديا وعسكريا .

● انتصارات لحركات التحرر الوطنى (فيتنام ثم ٦ أكتوبر
الخ) .

● انتصارات للحركة العمالية العالمية فى الدول الرأسمالية
(كالتطويح بالانظمة العسكرية الفاشستية فى البرتغال واليونان
والتصويت المتزايد الى جانب الجبهات الشعبية) .

ولقد أدى تضافر كل هذه القوى الى ارغام العناصر الواعية
(بمصالحها) لدى بعض الاحتكارات الامريكية (أساسا المجموعة
الثانية من المجموعات الثلاثة التى أشرنا اليها) الى أن نأخذ هذه
العوامل فى الحسبان ونعيد تصورنا للعالم وموازين القوى فيه ،
تصورا أكثر واقعية وتعقلا . وقد تمت ترجمة هذا عمليا على النحو
الآتى :

أولا — اعادة تقييم علاقات القوى بين الاتحاد السوفيتى
والولايات المتحدة على الصعيدين العسكرى والسياسى والاقرار
بالمساواة النووية بينهما ، الامر الذى سجلته اتفاقية موسكو بين
البلدين عام ١٩٧٢ .

ثانياً — ادراك أن « المؤامرة الشيوعية » ليست سوى
أسطورة خلقتها أجهزة المخابرات ثم صدقتها . وأن هناك تغييرات
عميقة اجتماعية وسياسية لا رجعة فيها في العالم وبوجه خاص في
آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية .

ثالثاً — ادراك الواقع الموضوعي للصراع الحاد بين المصالح
الاقتصادية الأمريكية ككل من ناحية وبين اليابان والكتلة الأوروبية
الغربية من ناحية أخرى .

رابعاً — أن سياسة المواجهة بين الولايات المتحدة الأمريكية
والاتحاد السوفيتي قد أضعفت من مركز أمريكا وعلاقتها بالدول
الراسمالية الأخرى ومن قدراتها في سباق المنافسة مع الاشتراكية .

ولا يعنى هذا أن السياسة الخارجية الأمريكية قد تخلت عن
عدائها الطبقي للاتحاد السوفيتي ولكن التطورات الجذرية في موازين
القوى دفع بعض الدوائر الاحتكارية إلى العمل من أجل حماية
مصالحها داخل المعسكر الراسمالي .

كما أن هذا لا يعنى أن السياسة الخارجية الأمريكية قد قبلت
التنازل طوعية عن مصالحها في العالم الثالث (وبوجه خاص في
الشرق الأوسط) أو أنها سلمت ببقاء الأنظمة التقدمية .

أن مصالح احتكارية معينة (المجموعة التي تغلب عليها صفة
الاستثمارات خارج الولايات المتحدة أو التي تنتج للتصدير) أمام
تغير موازين القوى في العالم أخذت تمارس — حين تضطر —
سياسة « الدبلوماسية الهادئة » بدلا من « سياسة البوارج
الحربية » .

وهذا الاضطرار الذي أجبرت عليه لا يعنى أنها قد تخلت عن

استخدام العنف بنفسها أو عن طريق الغير . ومثال هذا واضح للعيان من شاهدين :

فيتنام : حين أجبرت على جلاء قواتها من فيتنام الجنوبية (... ر. ه جندى) نتيجة لبطولة الشعب الفيتنامي الاسطورية ولضغط الراى العام العالمى . ومع هذا فلا زالت تفدق على حكومة سايجون (فيتنام الجنوبية) بالسلاح والعتاد والخبراء العسكريين وخبراء المخابرات ومنحتها فى ميزانية هذا العام مايربو على ألف مليون دولار .

قبرص : التى كان يحكمها نظام يتمسك بسياسة عدم الانحياز ، ذات أهمية عسكرية كبرى نظرا لوضعها الجغرافى قرب شواطئ دول الشرق الاوسط ، تمعدت الى قلت نظام الحكم فيها واحتلالها — بالواسطة — بالجيش التركى ، وتركيا كما نعلم عضو فى حلفين عسكريين امريكيين : الحلف الاطلنطى وحلف السنتو .

السياسة الخارجية الامريكية

والشرق الاوسط

كتبت مجلة آسيا الامريكية فى ابريل ١٩٤٢ تقول :
« لم ينحدر نفوذ انجلترا لدى شعوب الشرق الاوسط خلال القرن الماضى بأسره مثلما انحدر اليوم . ولم يعد فى وسع الولايات المتحدة ان تسلم بان تظل السيطرة على شئون الشرق الاوسط فى ايدي انجلترا .. فالشرق الاوسط القنطرة المؤدية الى اوربا ، ويجب علينا بالتالى ان تستولى عليه ولو مقابل ثمن مئات الآلاف من الارواح الامريكية . ولحسن الحظ اننا لم نفقد بعد الشرق الاوسط علينا ان نسرع . وعلى الولايات المتحدة ان تحوله الى قلعة بان تركز فيه قوات عسكرية هائلة وان تحافظ عليه بكافة الوسائل السياسية

والاقتصادية التي تتوفر لديها — لابد ان نقتنص الفرصة السانحة
الآن » .

لسنا في حاجة الى المزيد بعد هذا الاستشهاد الواضح
بنوايا الولايات المتحدة الامريكية تجاه الشرق الاوسط .

ولسنا في حاجة الى اعادة تقييم ما قدمته الدوائر الحاكمة في
اسرائيل من خدمات جليلة للدوائر الاحتكارية الامريكية ، فقد وفرت
عليها تضحية « مئات الالاف من الارواح الامريكية » .

بعد ١٩٤٢ ، وامام الاكتشافات البهرولية في الجزيرة العربية ،
وما حولها من بلاد ، وامام مقتضيات الحرب الباردة واستراتيجية
تطويق الاتحاد السوفيتي من الجنوب الشرقي ، امام هذا شغل
الشرق الاوسط مكانا مرموقا في السياسة الخارجية الامريكية .

ولكن شعوب المنطقة نهضت تطالب بالاستقلال وحصلت عليه
وقامت لتصنع لنفسها وببفسها حياة جديدة رافضة ان تظل هدفا
لسياسة الاستعمار .

ولعل ثورة يوليو ١٩٥٢ قد بلورت هذه الحركة التحررية
بشعارتها ومواقفها ، ولم تمض سنوات قليلة حتى برزت ثورة يوليو
— طليعة وقائدة لحركة التحرر الوطني في الشرق الاوسط .

وسرعان ما انقلبت سياسة محاولة احتواء ثورة يوليو من
جانب الولايات المتحدة الى سياسة العداء السافر
الهادف الى اسقاط النظام التقدمي في مصر

وتضافرت كل الجهود من جانب السياسة الامريكيين بمعاونة

الرجعية العربية واسرائيل معا وليس هنا مجال التطرق لهذه المؤامرات التي هدفت أول ما هدفت اليه الحفاظ على المصالح الامريكية ثم خدمة مصالح توابعها . وقد بلغت ذروتها في حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ .

ففي الفترة من ٥٦ - ١٩٦٧ ، كانت مصر تبدي اهتماما فائقا ببناء الاساس المادى (الاقتصادى) لقوتها كقلعة لحركة التحرير العربية وساندت مصر القوى الوطنية في المنطقة ، وأكدت الجوانب الايجابية لمفهوم الحياد الايجابى . وأقدمت على توثيق علاقات الصداقة مع الدول الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتى .

وبدت خريطة العالم العربى ، نتيجة لما تقدم ، في اواخر عام ١٩٦٥ على النحو التالى : المصالح الامريكية البترولية في الجزيرة العربية بأسرها محاصرة من كل جانب . وفى نفس الوقت تقف مصر متضامنة مع حركة التحرير اليمينية ، وتساند انتفاضة جنوب الجزيرة العربية عند منابع البترول . نضيف الى ذلك ان العراق وسوريا قد استقر بهما نظامان تقدميان . اما داخل اسرائيل فقد برزت التناقضات الطبقيه وشهدت اسرائيل موجة من الاضطرابات بل وزادت الهجرة منها عن الهجرة اليها . أمام هذا الخطر الداهم تضافرت مرة أخرى قوى الاستعمار الامريكى والقوى الموالية لها واسرائيل التى انقضت في ٥ يونيو ١٩٦٧ لضرب الحركة التحررية العربية .

الدوائر الامريكية

الاقوى ارتباطا باسرائيل

من الخطأ ان نتصور ان الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة هي المؤيدة الوحيدة لاسرائيل . بل هناك أيضا - وفي المقام الاول - دوائر احتكارية امريكية تلعب دورا هاما في هذا التأييد وعندما

* في ١٩٧٤ .

نقول احتكارا نعننى الاحتكرات المالىة والصناعىة الكبرى التى لىس لها من دىن سوى الربىء ، اقصى حء للربىء على حسب الطبقات الكادحة فى بلادها وخارج حدود هذه البلاد . ونذكر على سبىل المئال بىن هذه الاحتكرات : « لوكهىء اىركرافء » صانعة المطاردات القاذفات ف - ١٠٤ والطائرات الكارجو (حاملات الجنوء والعئاء الحربى) ك - ١٣٠ وك - ١٤١ . وكذا شركة « جنرال داىنامىكس كوربورىشن » صانعة الفواصات الذرىة والصوارىء والقاذفات ف - ١١١ وقء صرح مءىرها وهو من اءنى الامراء فى الولايات المئحدة واسمه ءافىء باكارء : « ىئحتم علنا أن نبعىهم (اى اسرائىل) كافة الاسلحة اللازمة لهم حتى نمكنهم من أن ىئحملوا تلك الحمل الجبار الذى حملناهم اياه » . وبعء هذا الحءىء نئمة لما أورءته جرىءة آسىا وذركناه من قبل .

بل ان بئك « شىزمائئهان » الذى تملكه عائلة روكفلر (وأبرز أعضائها الیوم : نلسون روكفلر نائب رئىس الولايات المئحدة) قء أنشأ شركة « ماكءونل اىركرافء كوربورىشن » صانعة القانئوم (قانئة القنابل على مءن القناة وعمال أبو زعبل وأطفال المءارس) .

وتئلقى اسرائىل مساعءات ضخمة من احتكرات البئترول وعلى رأسها « سئانءراء أوىل أوف نیوجىرزى » (التى تملكها ایضاً مجموعة روكفلر) وكذا « سئانءراء أوىل أوف أنءىانا » (التى برأسها صهىونى هو جاكوب بلاوشئان . وكان عضو بالمؤئهر الصهىونى الذى عئء فى لئءن عام ١٩٤٥) .

وهذه بعض من الاحتكرات الأخرى المئئجة للاسلحة والمربطة بشكل أو بأخر بالصهىونىة : « جنرال ئاراء رابركومبئى »

و « راديو كوربوريشن أوف أمريكا » الخ .

**والواقع أن الاحتكارات الامريكية التي تعمل في الانتاج الحربى
يهمها أن تظل حالة التوتر فى العالم وفى المنطقة (الشرق الاوسط)
حتى لا تغلق امامها الاسواق التى تصدر اليها الاسلحة .**

وكان يهم الاحتكارات البترولية حتى ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، أن
تجد حارسا كنفوا على اتم الاستعداد للانتفاض على من يجرؤ من
الشعوب العربية على المساس بمصالحها الاحتكارية الحيوية .

التعاون الامريكى - الاسرائيلى

فى المجال العسكرى ومجال المخابرات

هناك تطابق يكاد يكون كاملا بين الاستراتيجية العسكرية
الامريكية ، وبين الاستراتيجية الاسرائيلية .

فى مجال المساعدات العسكرية ، قدمت امريكا اخيرا اكثر
من الفى مليون دولار لاسرائيل - اثناء حرب اكتوبر وبعدها -
تضمنت ضمن اشياء اخرى وحدتين بهريتين : حاملتان للطائرات .
والمعروف أن الاستراتيجية الامريكية تقوم الآن اساسا على السلاح
البحرى (حاملات طائرات غواصات ذرية ...) بامتبارها قواعد
متنقلة يمكن أن تذهب الى أى مكان ، حركتها خفيفة وخفية
(الغواصات) تضرب على بعد من السواحل لتصيب بصواريخها
أى بقعة من بقاع العالم .

ماذا قررت وزارة الحربية الامريكية منع اسرائيل حاملات
طائرات فليس هذا ارضاء لاسرائيل فحسب ، بل أيضا لكافة
الاحتمالات التى تخطط لها العسكرية الامريكية استراتيجيا .

وفي مجال المخابرات . . تلعب الصهيونية دور العميل الأمريكي على النطاق العالمى . ومصدر قوة المنظمة الصهيونية الأمريكية تكمن فى تشعب وتباين اتصالاتها وعلمها الوثيق بأولئك الذين يتحكمون فى الموارد البشرية ، ويمكن الاعتماد عليهم . فإذا كانت المخابرات الأمريكية (أو البريطانية والفرنسية . . .) فى حاجة الى عميل موثوق فى أوديسا (الاتحاد السوفيتى) أو فى أفريقيا ، فلتتصل بالمنظمة الصهيونية لتجد ما تريده .

وتلعب المخابرات الإسرائيلية اليوم الدور الذى كانت تلعبه المنظمة الصهيونية (وإن لن يفته تهما) قبل انشاء دولة اسرائيل .

يقول دافيد نيس (الملحق الأمريكى فى القاهرة ابان حرب ١٩٦٧) :

(ان التعاون الأمريكى — الاسرائيلى فى مجال تبادل أعمال المخابرات لم يسبق له مثيل . لقد كانت معلومات المخابرات العسكرية التى طلبتها واشنطون من سفارتها ووكالة المخابرات المركزية وهيئات المخابرات العسكرية فى الشرق الأوسط خلال الشهور الستة التى سبقت حرب يونيو ١٩٦٧ كانت كلها مبنية على أساس تحتاجه اسرائيل ومما ضمن — جزئيا — فعالية الضربات الجوية الاسرائيلية فى ٥ — ٦ — ١٩٦٧ انما هى المعلومات التى جاءت من مصادر أمريكية عن المطارات والاستعدادات الجوية المصرية . وبالنسبة للمعلومات السياسية والاقتصادية فقد اعتادت وزارة الخارجية الأمريكية منذ زمن طويل أن تزود سفارة اسرائيل فى واشنطن بنسخ من كل تقارير السفارات الأمريكية فى الشرق الأوسط ترى أن له أهمية » .

(جريدة التايمز اللندنية عدد ١٩٧١/٢/٥)

هكذا تكون العلاقة مع اسرائيل التي حملت ذلك العبء الجبار :
حماية المصالح الامريكية في الشرق الاوسط دون أن تضحي الولايات
المتحدة بمئات الآلاف من الارواح الامريكية ، والشنن ! يا له من ثمن
زهيد : ألفى مليون دولار (هي قطرة لا تنكر من الارباح التي
ابتزتها - وما زالت تبتزها الاختكارات الامريكية من ارباحها البترولية
في الشرق الاوسط .

وهكذا يتضح لنا :

انه وان كانت الدوائر الصهيونية الامريكية هي ركيزة اسرائيل
الاولى - فكريا ودينيا - فانه يستحيل على هذه الركيزة وحدها
وبمفردها - ورغم ثقلها ، حمل الولايات المتحدة الامريكية على تقديم
ذلك القدر من التأييد والعون لولا المصالح الاقتصادية الامريكية
الهائلة التي هي قطاعا وبلا منازع المؤيدة الرئيسية لاسرائيل .

فاذا صفت هذه المصالح ... انتهى تأييد الولايات المتحدة
الامريكية لاسرائيل

((٦ أكتوبر))

والعلاقات الامريكية - الاسرائيلية

دل العبور - ٦ أكتوبر - على أن حركة التحرر الوطني
العربية حية ، بفضل يقظة وحركة الجماهير ، ما دل على أنها
ما زالت تواصل سيرها الى الامام .

لقد قضى العبور نهائيا ، وبما لا رجعة فيه ، على أسطورة أن
اسرائيل لا تهزم .. فقد تلقت أول هزيمة ولو جزئيا ، ولو مرحليا .

وأوضح قرار حظر البترول أثناء حرب أكتوبر ، أن هناك تناقضا بين الدول المنتجة — ايا كانت انظمتها — وبين الاحتكارات البترولية الامريكية أساسا . . . ولاول مرة ، أثر العبور ، بفلسلجا الاسياد الاستعماريون ، بمالكى البترول الشرعيين ، بمنعونه عن اعتداء شعوبهم ، وان باموه . . . كان ذلك بسعر تحسده قوانين السوق ولا تحده اتفاقات تفرض فرضا من واشنطن أو نيوجيرسى .

وأمام الارتفاع المفاجئ لاسعار البترول ، يبدأ سياق تصاعد كافة الاسعار فى العالم الرأسمالى ، وأخذ التضخم يستغل وينذر بأزمة طاحنة لم تشهدا الرأسمالية حتى فى الثلاثينات .

وبالتالى بدت موجة عارمة من الاضرابات بين العمال وأصحاب الحرف والموظفين والمهنيين والطبقات المتوسطة — حتى الرأسمالية منها — صغار ومتوسطى التجار وأصحاب المصانع .

ولكن الامر لم يقف عند هذا الحد فالتنافس على الاسواق يأخذ شيئا فشيئا شكل الحرب الاقتصادية بين احتكارات الولايات المتحدة الامريكية وبين احتكارات أوروبا واليابان . . . كل من الثلاثة يحاول قطع الطريق على الآخر والفوز لنفسه بما تيسر وبقي من سوق عالمية تنحسر رقعتها يوما بعد يوم بفضل حركة التضرر الاقتصادى لدى شعوب العالم الثالث ، التى كانت مرتعا خصبا ومباهيا لاستغلال الاحتكارات ، وبفضل تعاظم الاندماج الاقتصادى بين دول المجموعة الاشتراكية واتساع رقعة معاملاتها الداخلية والخارجية .

كيف أثر ذلك كله فى العلاقات الامريكية الاسرائيلية ؟ . . . الواقع يقول انه لم يحدث تغيير جذرى فى طبيعة نظام الحكم الامريكى . . . واذا كانت حكومة اى دولة هى الجهاز الذى يديرها

لحساب الطبقة السائدة ، فهل يمكن ان يدعى احد ان ٦ اكتوبر —
او عبور القتال — قد ادى الى تغيير جذرى او جوهري فى الطبيعة
الطبقية لنظام الحكم فى الولايات المتحدة وبالتالي فى حكومته وواضعى
استراتيجيتها فى السياسة الخارجية حتى انقلبت هذه السياسة بين
عشية ٦ اكتوبر وضحاها من معادية للاستراكية ومعادية لتحرير
الشعوب الى سياسة مؤيدة لهما ؟

حل فورد محل نيكسون فى رئاسة الولايات المتحدة ، وفورد
لم ينتخب بل عينه مجلس الشيوخ كنائب للرئيس ثم اقراه رئيسا . .
ومجلس الشيوخ الأمريكى قلعة من قلاع الحرب الباردة وقلعة
لمناهضة الانفراج الدولى . . ثم قام فورد بتعيين نلسون روكفلر
عميد عائلة روكفلر المسيطرة على احتكارات البترول ، وعلى
البنوك ، ومنها بنك شيزمنهتان . . . نائبا له ، أى نائب رئيس
الولايات المتحدة الأمريكية .

وأبقى فورد على كسينجر وزيرا لخارجيته . وكسينجر
يرثسح بدوره عضوا آخر من عائلة روكفلر
— ديفيد روكفلر ، رئيس مجلس ادارة بنك شيزمنهتان ، لتولى مركزا
قياديا فى وزارة الخارجية الأمريكية وهذا يؤيد ما بيناه من أن هذه
الوزارة حكر للاحتكارات الروكفلرية لانها من أهم اجهزة الحكم
ليضمنوا بانفسهم حماية مصالحهم خارج حدود الولايات المتحدة ،
ومنها الشرق الاوسط .

والواقع يقول ايضا انه لم يحدث تغيير جذرى فى نظام الحكم
الاسرائيلى . صحيح ان حكومة مائير قد سقطت ، وتحطبت حالة
موشى ديان العسكرية والسياسية . ولكن الحكومة الجديدة
— بوجه عام — مازالت تسيطر عليها العناصر الصهيونية ذات
الفكر العدوانى .

كذلك فان اسرائيل لم تهزم بالمعنى المطلق للهزيمة ، وان قضى
بلا رجعة على أسطوره أنها لا تهزم .

كما ان اسرائيل تواصل تسليحها العسكرى بفضل المساعدات
الامريكية . لان المصالح الطبقية للاحتكارات الامريكية مازالت في
حاجة للاحتياطى العسكرى الاسرائيلى . . امام أية احتمالات طارئة

على ان الواقع يقول أيضا انه لم يحدث تغيير جنى فى انظمة
الحكم العربية التقدمية .

لقد كانت حرب يونيو ١٩٦٧ تهدف الى القضاء على انظمة
الحكم العربية التقدمية (مصر ، سوريا) ، بل كانت تهدف أول ما
تهدف ثورة يوليو فى مصر التى قادت حركة التحرير العربية
وهددت — فى مدها — بالقضاء على المصالح الاحتكارية الامريكية
(وفى مقدمتها البترول) .

ولكن ٥ يونيو ٦٧ أعقبه ٩ ر ١٠ يونيو .

ولكن ٥ يونيو ٦٧ أعقبه أصرت الجماهير على الصمود وتحرير
العربية والمقاومة الفلسطينية .

ولكن ٥ يونيو ٦٧ أعقبه ظهور حافز جديد لحركة التحرر
الارض وأدى هذا الى ٦ أكتوبر ، الى العبور .

فالخطر من وجهة نظر الاحتكارات الامريكية (وهى المهيمنة
على سياسة بلدها) مازال قائما .

والخطر لابد له من علاج ومن وسائل العلاج فى القضاء على
الخطر : من داخل الانظمة أو من خارج (اسرائيل) .

التناقض بين الدول العربية المنتجة للبترو وبين مصالح الاحتكارات الامريكية

ما من شك في أن الاحتكارات البترولية الامريكية قد اقامت من قرار حظر البترول وحتى بالنسبة لمنعه عن الولايات المتحدة نفسها . فارتفاع سعر البترول أدى الى مضاعفة الارباح التي حصلت عليها الاحتكارات . وقد دلت الاحصائيات على أن أرباح الاحتكارات الامريكية الكبيرة هذا العام قد بلغت ثلاثة أو أربعة اضعاف أرباحها بالنسبة الى العام الماضي .

على أن قرار حظر البترول ، وقرار رفع سعره هو في نفس الوقت قرار تحرري — موضوعيا — رغم ما يكون قد اعتراه من الخلفيات وبواعث . ذلك أن حركة التحرر الوطني ذات شقين سياسى واقتصادى .

وقد أصبح الآن التحرر الاقتصادى هو الجانب الرئيسى — بوجه عام — في حركة التحرر الوطنى ومؤداه أن الشعوب التي ينهب الاستعمار ثرواتها تهباً ترفض هذا النهب . وتصارع في سبيل أن تعود عليها منافع هذه الثروات . وذلك أيا كانت أنظمة الحكم التي تسود فيها (فالخزائن الخاصة اليوم ستصبح عالة في يوم ما) .

هذا المطلب الشرعى ، من جانب الشعوب أو حكوماتها — أيا كان مضمونها الاجتماعى — يتناقض ويتعارض ومصلحة الاحتكارات الامريكية وغيرها .

من هنا تطالعنا الصحف يومياً عن « أمل » أو « أسف » الاحتكارات الامريكية « لرفض بعض الحكومات الصديقة تخفيض

سعر البترول » . كما تطالعنا يوميا انباء التسابق بين الدول المنتجة للبترول ، (والدول العربية هي التي تعنينا هنا) نحو المزيد من الحصص في استغلال بترولها . ويعنى هذا في المقام الاول تضائل حصص الاحتكارات البترولية الامريكية .

فهل تقف هذه المواجهة العارمة ؟ وما هو سبيل الاحتكارات الامريكية لوقفها ؟ ان حكام اسرائيل جاهزين للمهمة مجهزين لها ، بفضل المساعدات العسكرية والاقتصادية والمالية التي تغدقها عليها تلك الاحتكارات .

لذلك كله نقول : ان العلاقات الامريكية الاسرائيلية لم — ولن — يطرأ عليها في المدى الاستراتيجي المنظور تغيير جذري أو جوهري الا اذا تحقق أحد الاحتمالات الثلاثة :

● تغيير جذري في الطبيعة الطبقة الراحنة لنظم الحكم الامريكي .

● تغيير جذري في الطبيعة العنصرية العدوانية لنظام الحكم الاسرائيلي .

● تغيير جذري وجوهري في انظمة الحكم التقدمية لدى بعض الدول العربية .

ولكن ذلك كله لا ينفى ان تغييرا ما قد حدث في العلاقات الامريكية الاسرائيلية . فما هو ؟

سبق أن أوضحنا عند تناولنا للاستراتيجية الامريكية في السبعينات انها تحت ضغط لموامل عالمية : تغير موازين القوى

لمصالح التيسار الثورى العالمى بروافده الثلاثة :
الاشتراكية ، التحرر الوطنى والحركة العمالية والديموقراطية فى
الدول الرأسمالية ، وداخلية : بؤار تشير فى موازين القوى
الاحتكارية الامريكىة المختلفة . أمام هذه العوامل اضطرت
السياسة الخارجية الامريكىة أن تغير فى أماليها وحيث لا جدوى من
العنف السافر رسكنت الى ما أسمته « بالدبلوماسية الهادئة » .

بل حتى هذا التغيير فى الاسلوب يعبر — فى تطبيقه — عن
الطبيعية المتناقضة للسياسة الخارجية الامريكىة وخاصة فى الشرق
الاطوسط كانعكاس لتناقض المصالح الاحتكارية الامريكىة
فيها بينها :

— فالاحتكارات المنتجة للأسلحة والتي ترتبط خارج الولايات
المتحدة بأعلى النظم رجعية (مثل إسرائيل) وتؤيد هذه الدولى كل
التأييد (الاغداق بالأسلحة على إسرائيل) تمسكا منها بسياسة
العنف .

— أما الاحتكارات المستثمرة أموالها فى الخارج (كالبترول)
فتبدو أكثر واقعية وتميل — الآن — الى انصاف الحلول : ابتداء من
محاولة لاحتواء بعض الانظمة التقدمية العربية الى الضغط سياسيا
على إسرائيل — وبصرف — ومن هنا : اتفاقات الفصل بين القوات
على ضفتى قناة السويس وفى الجولان والوعد بالدولارات تصدر
منها الى جميع الاطراف المباشرة فى النزاع .. حتى تحل أزمة
البترول .. بخير .

وبمع هذا ، وحتى هذه السياسة المتسمة بالواقعية ، تتعارض
ومصالح الاحتكارات الأخرى (صناعة الأسلحة) ، وتقع تحت ضغط
وساط الصهيونية الامريكىة ذات النفوذ المتغلغل ، بعمق ، داخل
كافة الاحتكارات .

يمكن أن نقول إذن ، أن التغير الذى حدث فى العلاقات
الامريكية - الاسرائيلية هو الضغط - برفق - على اسرائيل .
هذا هو الجديد . وقابله على الجانب الآخر تغير فى الاسلوب
« تجاه الانظمة التقدمية العربية : بتقديم الوعود بدلا من العصا
(لانها لم تعد تجدى فى الظروف الراهنة على الاقل) .
... وبعد :

هذا هو فهمنا لطبيعة العلاقات الامريكية - الاسرائيلية وما
تطورت اليه بعد وبسبب « ٦ أكتوبر » . ويمكن أن نرصد هنا
الخطوط التالية :

١ - أن التغير الطفيف ولو فى « الاسلوب » قد جاء نتيجة
الصراعات الطبقيّة على كل من الصعيد العالمى . وفى الولايات
المتحدة الامريكية وفى الشرق الاوسط ذاته . وقد اسفرت هذه
الصراعات عن انتصار جديد للشعوب : الانفسراج الدولى اولاً ثم
اضطرار الطبقات المعنية فى الولايات لمتحدة لى أن تضغط برفق
على اسرائيل ، وان تغير فى « اسلوب » تناولها للانظمة التقدمية
العربية .

٢ - أن كفاح الجماهير على الصعيد العالمى والاقليمى والمحلى
هو الذى اجبر الاستعمار الامريكى على التغير » .

٣ - أن يقظة الجماهير وتعبئتها الدائمة واطلاق قدراتها
الكفاحية (مادية ، ثقافية ، وعسكرية) هو الضمان الوحيد للمزيد
من الضغط على العدو « الاستعمار والصهيونية » ، فالمزيد بالتالى
من الانتصارات .

٤ - أن الاستعمار مهما قيل او يقال لن يغير من طبيعته

المناهضة للشعوب ، كما أن تغير حركة التحرر الوطنى العربية
(وغيرها) من طبيعتها الطبقية الجماهيرية . فالصراع قائم ،
لا محالة ، أراد البعض أو لم يرد لأنه واقع موضوعى . كما أن
النصر للجماهير أمر لا ريب فيه .

هـ - ليس هناك على الإطلاق ما يسمى بالولايات المتحدة
الامريكية مجردة أو اسرائيل مجردة أو مصر مجردة ، بل هناك مصالح
طبقات اجتماعية قضى التاريخ على بعضها أن تزول وهى ترفض أن
تزال . وهناك طبقات اجتماعية أخرى قضى لها التاريخ بالحياة
ولا يراد لها الحياة .

وهل يمكن معاندة التاريخ ؟ .

نص حديث اجراه معي الاخ
صلاح حافظ بمجلة
« روز اليوسف » عدد الاثنين
٢ مارس ١٩٧٥ عقب
الافراج عنى فى القضية
رقم ١٩٧٥/١٠٠ حصر
امن دولة عليا .

أرفض
صورة اليهودى
التائه ..

أطلق يوم الجمعة الماضى ٢١ فبراير سراح اليهودى اليسارى
الشهير هارون المحامى .

وكانت احدى الصحف الكبرى فى القاهرة قد زفت الى قرائها
بشرى القبض عليه ، فى يناير الماضى ، تحت العنوان المثير : يهودى
يسارى بين المتظاهرين ! ..

ثم ظهر أن الرجل قبض عليه فى بيته ، وأن النيابة لم تقدمه
فى قضية المظاهرات ، وإنما فى قضية أخرى مختلفة ، هى قضية
التنظيمات اليسارية .

ثم ما كاد يتقدم الى المحكمة معترضا على أمر حبسه حتى أمرت

المحكمة بالافراج عنه . ولم يستخدم رئيس الجمهورية حقه القانونى
فى الاعتراض على هذا القرار !

ما هى حكاية هذا الرجل بالضبط ؟

واجبى كمواطن

قال شحاتة هارون :

— انا يهودى نعم .. ويسارى نعم .. ولكن الصفة الاهم
هى ائنى مصرى .. وفى حدود معلوماتى لا يشترط ، لكى اكون
مصريا ، ان اغير دينى او اغير معتقداتى السياسية .

● هذا صحيح ، ولكن يشترط ان يكون ولاؤك لمصر .

— وهل لى ولاء آخر ؟ حتى النيابة لم تتهمنى بذلك .

● لماذا ؟

— لانه ما من جهة فى الدولة تجهل نشاطى داخل البلاد
وخارجها ، ضد الصهيونية ، ولست اقول هذا تفضلا على بلادى ،
بل ائنى فى الواقع آسف جدا لاضطرارى الى الاشارة الى هذا
النشاط الذى هو جزء من واجبى كمواطن ، وقد طلبت لتطوع
فى ١٩٥٦ و ١٩٦٧ .

التفوق اليهودى خرافة :

● اليس غريبا ان تكون يهوديا ومعاديا للصهيونية ؟

— ليس اقرب من ان تكون مسسِلما وترغض « الاخوان

المسلمين « أو أمريكيا أبيض وترفض التفرقة العنصرية ضد الزنوج .
ان الصهيونية حركة عنصرية . عدوانية . تدين بعض الافكار التي
يستند اليها الذين اضطهدوا اليهود في ألمانيا ، والذين يضطهدون
السود في أمريكا .

❶ ألا تؤمن ان بتفوق الجنس اليهودى ؟

— لا أؤمن بتفوق أى جنس .

❷ لكن اليهود يفاخرون بأن كثيرا من النوابع ينتمون اليهم .

— ربما يبدو هذا صحيحا للوهلة الاولى ولكنهم لا يختلفون في
هذا عن أية أقلية في أى مجتمع . فالأقلية تميل الى تسليح نفسها
بالعلم أو المال ، كلاهما يعطى فرصة أكبر لظهور المواهب . والدليل
على أن المسألة ليست خاصة بالعنصر اليهودى بالذات هو أنه في
مصر لم يظهر نوابع من اليهود . . . فهم متخلفون لانهم ولدوا في بلد
متخلف .

أرفض صورة اليهودى التائه :

❸ هل تؤمن حقا بأن اليهودى في مصر لا يتعرض للاضطهاد ؟

— ليست المسألة ايمانا ، وانما هى حقيقة . ان مصر لا تعرف
ما يسمى « بمعاداة السامية » ، قد توجد مشاعر معادية لليهود
ولكنها رد فعل للعدوان الاسرائيلى وهذا شىء مختلف تماما عن معاداة
السامية في أوروبا . ففي أوروبا يعادون اليهود لانهم يهود . أما في
مصر ، فان صورة اليهودى قد اختلفت عندما ظهر الصهيونى على
المسرح . . . وأى تغير في نظرة الشعب المصرى الى المواطن اليهودى
نتاجم عن سلوك الدوائر الحاكمة في اسرائيل واتجاهاتها العدوانية .

● لكن معظم اليهود نزعوا من مصر الآن . فلماذا لم تنزع أنت ؟

— لأننى أرفض أن أنزع عن نفسى . . . وباختيارى ، صفتى كمواطن وحتى كإنسان كما أرفض صورة « اليهودى الثائى » . . . على اليهودى كإى مواطن أن يتبنى قضايا الوطن الذى ينتمى إليه فهذا ضمانه ، وليست الصهيونية .

● ما الذى الهك هذا الرفض ؟

— بحث ماركسى قرأته وأنا شاب ، يقول أن لليهود فى العالم ثقافتين متميزتين . . . الأولى ثقافة الحاخامات الرجعية ، التى تسود حيث يضطهد اليهود ، والثى تحمل طابعا انطوائيا خاصا . . . والأخرى ثقافة اليهودى الإنسان ، الذى يقبله مجتمعه ، وهى لا تنفصل عن ثقافة هذا المجتمع وعن الثقافة الإنسانية . انظر الى الثقافة الإسلامية مثلا . . . لقد عاش اليهود فى ظل الدولة الإسلامية مواطنين على قدم المساواة مع غيرهم ، فصيوا كل ثمار عقولهم فى تيسار الحضارة الإسلامية العام ، وقد حملنى هذا على أن أرفض كل فكرة تجعلنى مختلفا عن بنى وطنى أو منفصلا عنهم . ومن هنا نشأت كراهيتى للفكرة الصهيونية .

● ألم تجد متاعب فى تمسكك بالبقاء ، ومواجهة مشاعر الشعب الثائرة على الاعتداءات الاسرائيلية .

— فى مثل وضعى لأبد طبعاً من بعض المتاعب . . . ولكن ما أبصرها . . . أذكر فى وقت من الاوقات أن ابنتى كانتا تعودان من المدرسة كل يوم باكيتين ، لأن دروس التربية القومية تشتم اليهود ، وذات يوم زارنى صحفى أجنبى قادم من اسرائيل ، فسألته عن

دروس التربية هناك . فشرح لى ، أمام البننتين ، كيف أن هذه الدروس لا هم لها الا تمجيد اليهود ، واعتبارهم أرقى من جميع البشر ، مع تحقيرها للعرب ، كانت هذه فرصة أشرح فيها للبننتين أن ما يسمعه هنا رد فعل لما يسمع التلاميذ هناك .. وبعد هذا لم تعد اهداهما تعود باكية من المدرسة !

● وماذا عن المضايقات لك أنت .. فى عملك مثلا ؟

— لا مضايقات على الإطلاق . لم أشعر أبدا بموقف من زملائى المحامين . أو من زبائنى ، أو من أصدقائى .. سببه أننى يهودى . وليس هذا شيئا غريبا .. فحواجز الكراهية الدينية أو العنصرية دائما مصنوعة . دائما تأتي من أعلى .. أما بسطاء الناس فيتعاملون دائما باعتبارهم ولاد حواء وآدم . أى باعتبارهم أخوة .

كيان استعماري لا يهودى :

● هل هذا أيضا موقف اليهود لماذا نجد معظمهم غير مستعدين للشعور بهذه « الأخوة » مع غيرهم ؟ لماذا يغلب عليهم التأييد الأعمى لإسرائيل ؟

— هذا ليس موقف اليهود جميعا . فمثل هذا الموقف يحتاج الى قدر من الوعى لا يتوافر بعد بين الجماهير عامة ، « يهودية وغير يهودية » أما عن التأييد الأعمى لإسرائيل فنأجى عن الخطر الاعلامى غير السليم فى الماضى الذى اتبعته الحكومات العربية فادخلت فى نفوس يهود العالم الخوف على أقرانهم فى إسرائيل . ومن هذا المدخل تترب الدعاية الصهيونية . فأنك مثلا لا تملك اذا كنت مسلما الا أن تتعاطف مع مسلمى « الفلبين » المضطهدين وإسرائيل تخدع يهود العالم يزعم أنها « الكيان اليهودى » . وتكسب بذلك عطفهم مساندتهم .

● وهل ترى أنت أن اسرائيل ليست كيانا يهوديا ؟

— بكل تأكيد ! ان اسرائيل نشأت كيانا استعماري . وقد بدأ
الرأى العام اليهودى فى العالم يدرك ذلك . واسرائيل تفقد الآن
مواقعها بين اليهود أنفسهم ، وليس بين الرأى العام العالمى فقط .

● لماذا ؟

— لأنها بعد أن كسبت بعض الجولات الاعلامية والعسكرية
بدأت تظهر على حقيقتها . . نظاما عنصريا عدوانيا يضطهد الانسان ،
ويتحدى القيم الديمقراطية .

● ما هو الحل إذن ؟

— فى المدى القريب انشاء دولة فلسطينية عربية على الضفة
الغربية وقطاع غزة ، وفى المدى البعيد توحيد الدولتين فى دولة
ديمقراطية واحدة . . تتمتع بولاء سكانها جميعا بصرف النظر عن
العنصر والدين .

● هذا نفس مطلب منظمة التحرير الفلسطينية .

— وهو الآن مطلب بعض اليهود داخل اسرائيل ذاتها وفى
مقدمتهم حزب راكاح (الشيوعى) بل لقد تقدم بعض اليهود « المتتمين
الى شيعة دينية لا تعترف باسرائيل » أخيرا الى منظمة تحرير
فلسطين يطلبون منها الجنسية الفلسطينية .

● هذه أول مرة نسمع فيها هذا النبأ .

— انه حقيقة . . وقد يكون الذين فعلوا ذلك أفرادا قلائل .
ولكن موقعهم يبين بوضوح ما هو اتجاه المستقبل .

● ألا ترى أن مثل هذا المستقبل بعيد ؟

— نعم هو بعيد . ولكنه قادم لا محالة . وهو رهن بمدى تمتع الجماهير في إسرائيل والدول العربية بالديمقراطية الشعبية .

اسرائيل الكبرى ؟

● فلنتحدث إذن عن المستقبل القريب . كيف ترى حل الصراع العربى الاسرائيلى الآن ؟

نقطة البدء التى لا مفر منها هى انشاء الدولة الفلسطينية العربية . ثم الحوار بين القوى الديمقراطية فيها وفى اسرائيل ، تمهيدا لاقامة الكيان الديمقراطى الموحد بعيدا عن العنصرية .

● ألا ترى أنك ، بهذا الكلام ، تحطم بصوت عال ؟

— بالعكس . . أنا أرى أننى أردد ما سوف يفرضه التاريخ .

● لكن اسرائيل ترى انها حل طبيعى لقضية يهود العالم . وهى الآن ، بعد أن أصبحت أمرا واقعا ، تتطلع الى تجميع اليهود جميعا داخلها ، والى تحقيق حلم اسرائيل الكبرى .

— هذه خرافة أخرى يستحيل أن تتحقق ، لأنها ضد التاريخ ، وضد قانون الطبيعة . فلم يسبق فى هذا العالم أن نشأت دولة تتألف من عنصر واحد ، حتى القبائل التى احتلت أرضا وأنشأت فيها دولة ، لم تلبث أن تفرعت عنها دول كثيرة . أن تصور وجود دولة للجنس اليهودى وحده تصور شديد التخلف ومخالف لنص « وعد بلفور » وهو شهادة ميلادها . وإذا كان التاريخ قد قضى

بأن تكون جميع القوميات في العالم الآن خليطا من أجناس مختلفة ،
فلماذا يقضى لليهود وحدهم بدولة من جنس واحد ؟

الصهاينة يتهموننى بالخيانة :

● كيف ينظر اليهود — يا ترى — الى آرائك هذه ؟

— كثيرون يؤيدونها . وفي مقدمتهم الديمقراطيون واليساريون .
أما الصهاينة فيعتبروننى خائنا لاننى أرددها .

● خائنا ؟

— نعم . وفي كثير من البلدان التى أسافر اليها يرفض بعض
اليهود مقابلتى ، لاننى أردد هذه الآراء .

● ترددها أين ؟

— فى مؤتمرات عامة ، واجتماعات نقابية ، وحزبية . عندما
أسافر لا أدع فرصة تفلت منى للتعبير عن هذه الآراء ، ودعوة
اليهود الى الاقتناع بها . ولهذا أصبحت كل رحلة لى الى خارج
مصر معركة متصلة .

● ألم يدهشك أن يتهمك الصهاينة بالخيانة ، ثم يقبض
عليك فى مصر أيضا ، وتقدم للمحاكمة ؟

— لا أعتبر هذا شيئا غريبا . فالذى يحارب التعصب فى مثل
ظروف الصراع العربى — الاسرائيلى يجب أن يتوقع المتاعب . ومع
هذا ، فأنا لا أنكر أنى دهشت عندما قبض على ، ودهشت أكثر
عندما وصفت فى الصحف بأننى يهودى يسارى ، ولم أوصف بأننى

مصرى ، ومعاد للصهيونية ، ومناضل فى سبيل حقوق الشعب
الفلسطينى العربى ، وصاحب جهد فى هذا سبيل . . لا ادعى أنه
كبير ، ولكن ادعى أنه مخلص وصادق .

● كيف تفسر هذا الموقف « الصحفى » منك ؟

— أعتقد أن هذا السؤال ، ولا مؤاخذه ، يجب أن يوجه الى
الصحافة .

● سؤال آخر ، وصريح :

هل تأثرت معتقداتك بالقبض عليك ، وبالنبأ الذى نشر عنك ،
أو بعبارة أخرى : هل تفضل الآن ، اذا أتاحت لك الفرصة ، أن
تهاجر الى اسرائيل .

— لن أترك مصر ولو قطعوا رقبتى . انها وطنى . حتى
وواجبى . وأنا رجل محام ، لا يفرط فى حقه ، ولا يتهارب من
واجبه . ثم اننى لم أشعر فى أى وقت بأن شعبها قد لفظنى . ومنها
قبض على وجدت عشرات من المواطنين معى فى السجن ، ووجدتهم
من مختلف الاديان والمعتقدات . ولم أشعر باننى عوملت معاملة
تختلف عنهم .

وسكت « اليهودى اليسارى » شحاتة هارون لحظات ثم
قال فجأة :

— اسمع . ان لكل انسان أكثر من هوية . وأنا انسان . أنا

مصرى حين يضطهد المصريون . واسود حين يضهد السـود .
ويهودى حين يضطهد اليهود .

● ومن انت الآن ؟

— لست يهوديا ، لأن اليهود هنا غير مضطهدين . ولست
أسود ، لأن السود هنا غير مضطهدين . ولكنى مصرى .. لأن مصر
ماتزال بعض أراضيها محتلة !

في اواخر السبعينات طلب منى
الشهيد عصام السرطاوى
تقريراً لعرضه على منظمة
التحرير الفلسطينية عن وضع
اليهود في مصر .

وضوح اليهود في مصر

كلمة حق :

احقاقا للحق وقبل الخوض في وصف ما عاناه اليهود منذ
الاربعينات من هذا القرن لابد من الاقرار :

ان شعب مصر براء تماما وكلية من كل ما عاناه ابناؤه من
اليهود . فقد عانى الشعب بطوائفه ومنذ آلاف السنين من قهر
لا يؤهله بعد ، للدفاع عن حقوق اقليته وهو المحروم من أبسط
الحقوق .

اليهود في مصر :

— لم تخلو مصر ابدا من اليهود . وكيف يكون غير ذلك ومصر
منبعهم ومنها استقوا مبادئ دينهم .

— عاشوا في عهد الاحتلال اليوناني القديم مئات الآلاف منهم .
ثم انخفض — وفقا لبعض المؤرخين — الى مائة ! وقدر وليم لين ،

الرحالة الانجليزى ، أن عددهم ، فى غضون النصف الاول من القرن ١٩ ، يقرب من ٥٠٠٠ .

— وارتفع هذا العدد ، لهجرات متتابة من الولايات الأخرى للإمبراطورية العثمانية حتى بلغ فى الثلاثينات من القرن العشرين بين ١٠٠ و ١٢٠ ألف .

— أما اليوم فقد انخفض عددهم الى ٥٠٠/٤٠٠ فرد على الأكثر (١) .

مصر الرسمية ، مصر السلطة واليهود :

بدأت الاساءة الى اليهود بالذات على النحو وبالاساليب الآتية :
١٩٤٢ — ١٩٤٨

— من كان منهم أهلا ليعتبر مصريا طبقا للقانون حرم من الحصول على ما يثبت هذه الهوية عن طريق وضع العراقيل فى سبيل الحصول على ما يسمى « بشهادة اثبات الجنسية » الا القليل النادر . هكذا ومع اقتضاء « المصرية » كشرط للعمل بالشركات أغلقت سبل العيش أمام غالبيتهم .

— تضافرت جهود الاستعمار والسلطات الرجعية والصهيونية لتأجيج هبلة تهاجم اليهود كيهود ، كوسيلة لحرف الحركة الوطنية عن مسارها الطبيعى .

— وارتكبت ضدهم أعمالا ارهابية فكان مثلا يوم ٢ نوفمبر

(١) الآن يتلون عن ١٢٠ فردا .

من كل عام (وعد بلفور) يوم رعب لليهود ، تقوم فيه الجماعات الارهابية (بايعاز من المستعمر الانجليزى واغلب الظن بدفعة من المنظمات الصهيونية) بتحطيم المحلات المملوكة لليهود وتوضع القنابل فى معابدهم (حارة اليهود) .

اصبحت القاعدة العامة :

— ان كل يهودى صهيونى وذلك حتى يومنا هذا .

— حملة لم تتوقف خلال اكثر من ثلاثين عام على صفحات الجرائد والمحلات ، وفى الاذاعة والتلفزيون تسفه وتحقر من الدين اليهودى ومن اليهود ولا صوتا يرتفع بكلمة حق الا ما ندر .

: ١٩٤٨

— وضع اليهود (دون تمييز فى النزعة السياسية او حتى انعدامها) فى المعتقلات .

— صدر قرار باخلاء اليهود (الفى بعد يومين نتيجة لضغط الدول الاوربية) من شققهم التى تقرب من أو تطل على المباني الرسمية (وزارات ، جامعة الدول العربية) .

بل منعت سيارات النقل ، التى كان مغروضا ان تنقل اثنائهم (الى حيث لا يدرون) ، من أن تقف الى جانب الارصفة . وأمام ضيق المهلة للاخلاء اضطروا الى القاء اثنائهم من الشرفات .

— وضعت اموال غالبية اليهود تحت الحراسة (أسوة باموال الفرنسيين والانجليز والاستراليين) دون تمييز بين الصهيونى وغير الصهيونى .

— ومنح أصحاب العمل الحق في فصل عمالهم وموظفيهم من اليهود عن أعمالهم (أمر عسكري ١٩٤٨/٤) وقد فصل منهم من كان يعمل لدى المنشآت الخاضعة لتدابير الحراسة وغيرها .

— ومن أودعوا المعتقلات ، عرض عليهم البقاء فيها أو المغادرة

النهائية . فآثر العديد منهم المغادرة خلال السنتين والنصف التي امتد اليها الاعتقال .

— وتبعها هجرة جماعية أولى لليهود .

١٩٥٠ — ١٩٥٥

أصدرت جامعة الدول العربية توصيات سرية نذكر منها :

— الضغط على اليهود في الاقطار العربية لمغادرة بلدانهم المنتمين اليها مغادرة لا رجعة فيها .

وكان الاسلوب المتبع هو الآتى :

(أ) من يرغب في السفر لا يقبل طلبه الا بشرط أن يكون هذا السفر لا عودة منه (أى مغادرة نهائية) .

(ب) تسحب منه وثيقة السفر المصرية (ان كان متمتعاً بها) أو بطاقة الإقامة اذا كان أجنبياً أو غير معين الجنسية .

(ج) يطلب منه أن يوقع على تنازل عن جنسيته (هنا ، المصرية) .

(د) يسلم تذكرة مرور عليها تأشيرة : مغادرة نهائية .

(هـ) بعد سفره بمدة يصدر وزير الداخلية قائمة بأسماء من سافروا وينذرهم باسقاط الجنسية المصرية عنهم ما لم يعودوا خلال مهلة يحددها القرار ويلاحظ :

١ - أن القرار صادر بمصر ولا يعلن عنه في الخارج .

٢ - أن أولئك الذين علموا بصدر القرار وتقدموا لقنصليات بمصر بطلب العودة رفض النظر في طلباتهم .

- وضع اليهود في القوائم السوداء بحكم دينهم بموجب قرارات وزارية تذكر منها القرار ١٨٣/١٩٦٤ الذي أصدرته وزارة الداخلية المصرية . مازال نافذا .

: ١٩٥٦

- مع الاعتداء الثلاثي (اسرائيلي - فرنسي - انجليزى) اتبعت ذات الاساليب بشكل أكثر اتقاناً تلك التى اتبعت أثر حرب ١٩٤٨ بل تم اعتقال النساء والرجال معا .

وكانت أزمة المساكن في القاهرة قد بدأت تستفحل فانتهز بعض رجال الامن وغيرهم فرصة دفع اليهود الى المغادرة أو معاونتهم عليها مقابل النزول لهم عن شققهم بما بها من اثاث .
- وتبع هذه الاجراءات هجرة جماعية ثانية لليهود .

: ١٩٦١

- عندما صدر الامر العسكرى رقم ١٣٨/١٩٦١ بوضع اموال

الرجعيين المصريين (كبار ملاك عقارين ورأسماليين) تحت الحراسة فقد شمل صغار ومتوسطى التجار من اليهود . ونسبة هؤلاء في قوائم الحراسة عالية جدا ولم تكن تتناسب البتة لا مع مركزهم في الاقتصاد المضرى (بعد تصفية العديد منهم في ١٩٤٨ و ١٩٥٦) ولا مع عددهم الكلى بالمقارنة الى تعداد مصر .

وجدير بالذكر أن ضباط المباحث كانوا كلما يسرون في الشوارع ويجدون محلا مملوكا ليهودى يسرعون الى اضافته الى القوائم .

١٩٦٧ :

— كان شائعا قبيل هذه الحرب انه في حالة نشوبها سوف يقبض على اليهود جميعا ، نساء أو رجالا ، البالغين بين السابعة عشر والخمسين سنة .

وبالفعل وبين ظهيرة يوم ٥ يونيو ومسنائه كانت سلطات الامن قد اكملت القاء القبض . من الاسكندرية حتى أقصى الصعيد ، على كل من تبقى في مصر من رجال اليهود ارباب الاسر أو أولادهم الذكور (بين ٣٥٠ و ٣٧٠ فردا) دون مراعاة لحدود السن التى كانت قد شاعت من قبل ، طبعا وكالمعتاد استثنى منهم أولئك الذين تربطهم بالسلطات . . . «صلات» خاصة من مهربى النقد والمعروفين بعلاقاتهم بالمؤسسات الصهيونية .

— أودع المعتقلون بأقسام البوليس وتعرضوا فيها لضرب مبرح . . . وفي اليوم التالى (١٩٦٧/٦/٦) تم ترحيلهم الى سجن أبى زعبل حيث استقبلوا استقبالا « حارا » : ضرب وتهديد بأطلاق الرصاص ومهانات يندى لها الجبين .

ووزع هذا العدد (٣٧٠/٣٥٠) على خمسة زنايات مساحة كل منها ٩ × ٥٠ مترًا بواقع ٧٢/٧٥ فردًا في كل زناينة أى لكل منهم بلاطتين ونصف عرضًا ، ينامون على جوانبهم لضيق المكان وقد جردوا من ملابسهم المدنية ، وتم حلق رؤوسهم وارتدوا « ثياب » المسجونين .

ظلت الزنازين مغلقة عليهم ٢٠ يوما لم يصرح للمدخنين بشراء السجائر . وحرّموا من الجرائد من ٥ يونيو حتى ٧ أغسطس . استمر الضرب والاهانات : مثل اضطراب الشباب والشيوخ الذى يقع عليهم اختيار الضابط (الضابط لا تزيد سنه عن ٢٢/٢٣ سنة) بأن يقول بصوت عال « أنا خول » وهو ملقى على الأرض على بطنه مخلوع السروال وعصا الضابط « تزغزغ » فرجه .

لن نطيل

وبدأت الضغوط لأرغام هذه البقية الباقية على السفر وذلك طيلة ثلاث سنوات ونصف . ونجحت المؤامرة رغم محاولات (فردية) بذلت لوقفها حرصا على سمعة مصر وكرامة شعبها وحكومتها الوطنية .

بدأوا بالضغط على الزوجات فإذا قبلت السفر مع أولادها ... سوف يلحقها زوجها . ولكن كذلك فمن كان منتصيا لبلد أجنبى (فرنسى ، ايطالى ...) تولت سفارته ترحيله . أما غير معيّن الجنسية فقد صرفت لهم سفارة أسبانيا (وكانت آنذاك متولية لشئون السفارة الأمريكية بعد قطع علاقاتنا بالولايات المتحدة الأمريكية) جواز سفر أسباني لسفّره واحدة ... ورفض ٩ فقط وصمدوا . ونجحوا فى البقاء .

١٩٧٦ :

— مازال بوزارة الداخلية قسم « اليهود » وملف « اليهود » وهو الآن يتولى « الشئون العربية الفلسطينية » ولكن بين هؤلاء واليهود وحدة مصر بوليسى .

— مازال اليهود مدرجين فى القوائم السوداء من ولد منهم بمصر رحل 'و لم يرحل .

— مازال اليهود غير المعينين الجنسية محروما من تمتعه بالجنسية المصرية رغم أحقيته لها .

— ومازال المصرى اليهودى الديانة فى حاجة الى اذن للسفر قد يمنح 'و لا يمنح حسب « التساهيل » وهو اذن لسفرة واحدة .

ومن الحوادث الاخيرة أن شابا يهوديا حصل على الثانوية العامة بمجموع يؤهله للدخول الى كلية الطب — فرفض عميدها قبول طلبه رغم أحقيته « لأن اليهودى ممنوع من أن يتجول بين مستشفيات مصر » .

هذا ولا حاجة الى ذكر تفرقة أخرى : منع اليهود من أداء الخدمة العسكرية .

خلاصة ما تقدم :

وكل الاحداث والاجراءات التى أوردنا ذكرها باقتضاب شديد تطوى مئات الآلاف من المآسى . وهذه الجراح صعبة ، وليست مستحيلة الالتئام . انها فى حاجة الى معالجة جادة وحازمة .

نص حديث أجبرته معي

مجلة ((القبس)) الكويتية

في ٢٢ من أكتوبر ١٩٨٠

يهودى مصرى
يعارض كامت ديفيد
الحكومات العربية أمدت اسرائيل
٦٠٪ من طاقتها البشرية

هو واحد من ١٥٠ يهوديا هم كل من بقى من اعضاء الجالية اليهودية فى مصر ، بعد ان اختاروا البقاء فيها ، على خلاف عشرات الآلاف الآخرين من اليهود المصريين الذين ابعدوا عن البلاد او هجروها برغبتهم الى اسرائيل والدول الاوروبية ، ضمن موجات السفر الجماعية او الفردية لليهود خاصة عامى ١٩٤٨ و ١٩٥٦ . وهو يهودى يسارى ، يعمل بالمحاماة منذ أكثر من ٣٠ عاما ، ويستقبل عملاؤه فى مكتبه فى شارع محمد فريد بوسط القاهرة . . . فضلا عن ذلك فهو عضو فى حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى كما أنه « متهم » فى قضية الانضمام الى تنظيم شيوعى غير مشروع ، التى أعلنت السلطات المصرية قائمة الاتهام الخاصة بها فى الاسبوع الماضى .

والمحامى شحاتة هارون فى الستين من عمره حاليا . . عاصر

كل الحروب العربية - الاسرائيلية ، كما تابع كل مراحل التطور
السياسى فى مصر قبل الثورة وبعدها .. وحتى الآن .

وشحاتة هارون يؤكد أنه يعارض اتفاقيات « كمب ديفيد »
برغم أنه يهودى . ويقول أن سبب معارضته يرجع الى أن هذه
الاتفاقيات - فى مفهومه - لن تحقق السلام .. لا للشعب المصرى
ولا للشعب الاسرائيلى ولا للشعوب العربية .. ولا لمنطقة الشرق
الوسط برمتها . وفضلا عن ذلك فإنه يرى أن هذا السلام يكرس
المصالح الاميركية فى المنطقة . ويضيف أنه لو كان العرب قد قبلوا
قرار التقسيم فى نوفمبر ١٩٤٧ ، لما وصل بهم الامر الى الاوضاع
الراهنة ، ولما استطاعت اسرائيل أن تحقق أطامها التوسعية بالقدر
الذى حققتة ، يؤكد أن الحكومات العربية هى التى أمدت اسرائيل
بالجانب الاكبر من طاقتها البشرية بارغامها سكانها من اليهود على
ترك بلادهم ، ويضيف أن محاولات بعض الحكومات العربية أخيرا
لدعوة هؤلاء اليهود للعودة الى أوطانهم جاءت متأخرة ، ولم تحقق
نتائج عملية .

سلام امريكى :

يقول شحاتة هارون فى بداية حديثه لـ « القبس » :

- اتفاقيات « كمب ديفيد » ليست فى رأى سوى « سلام
امريكى بشروط المؤسسة الصهيونية الحاكمة فى اسرائيل ، وبالتالى
فإنها - فى اعتقادى - ضد مصالح الشعبين الاسرائيلى
والفلسطينى ، فضلا عن أنها لم تستجب للمطالب الوطنية العادلة
للدول العربية المحتلة أراضيها وأعنى بها مصر وسوريا .

● ولماذا هى ضد مصالح الاسرائيليين .. ؟

— لأنها لم تحقق لهم السلام ، فهي من ناحية قد زادت من العمليات الفدائية للمقاومة الفلسطينية داخل الاراضى المحتلة في الضفة الغربية وغزة . مازالت كذلك حالة الحرب قائمة بين اسرائيل وسوريا ، وبالتالي مازالت ميزانية الحرب الاسرائيلية تحرم الاسرائيلى من استثمار هذه الاتفاقات لرفع مستواهم المعيشى .

ويستطرد المحامى شحاتة هارون فى تحليله اليسارى للاحداث قائلا :

« اننا قبل ان نناقش الحل الامثل للقضية ينبغى ان نحلل « طبقياً » لماذا حدث هذا « السلام » وفى هذا الوقت بالذات ، واذا عدنا الى اسباب حرب ١٩٤٨ واسباب « سلام » سنة ١٩٧٨ سنجد ان نفس المصالح الانانية للاستعمار والفئات الاجتماعية المسيطرة على مقاليد الحكم هى التى دفعت الى الحرب عام ١٩٤٨ وإلى السلام عام ١٩٧٨ . »

وشرحا لهذا الراى ابادر فأقول أننى أتعامل مع الاحداث كاشتراكى علمى ، أى على أساس أن حركة التطور حربا وسلما تحكمها قوانين موضوعية فى مقدمتها صراع الطبقات باعتباره محرك التاريخ .

● ييجن نموذج للتعصب العنصرى العدوانى التوسعى .

وفى سنة ١٩٤٨ كانت الحركة الوطنية فى مصر قد اتخذت الى جانب المطالب الوطنية مضمونا اجتماعيا وتمثل ن عدم الرضا لبقاء الاحتلال وعدم الرضا بالوضع الاقتصادى المتردية . هددت الحركة الوطنية بمضمونها السياسى والاجتماعى مصالح المحتل البريطانى ومصالح الطبقات المصرية

الحاكمة ، التي رأت أن حرب إسرائيل ستشغل الحركة الوطنية المصرية عن المضي في مشاريعها الاجتماعية والاقتصادية .

قرار التقسيم :

وفي اعتقادي أنه لو كان قرار التقسيم قد تحقق لكانت فلسطين صفوف اليسار المصري في ذلك الوقت بالموافقة على قرار التقسيم في عام ١٩٤٧ باعتباره أقل الحلول سوءا وأقربها إلى المبدئية من حيث أنه أقر بحق كل من سكان فلسطين العرب من ناحية واليهود من ناحية أخرى بحق تقرير المصير .

وفي اعتقادي أنه لو كان قرار التقسيم قد تحقق لكانت فلسطين الصغرى هي أول أرض عربية تتخلص من الاحتلال الاجنبي (البريطاني) في ذلك الوقت .

وأستطرد اليهودي المصري شحاتة هارون قائلا :

« هذا بالنسبة لحرب ١٩٤٨ ، أما بالنسبة لـ «سلام» ١٩٧٨ فإن الولايات المتحدة لا تريد سلاما عادلا لكنها تريد هدوءا نسبيا يسمح لها باستنزاف ثروات العالم العربي وفي مقدمتها البترول .

وفي نفس الوقت فإن القوى الاجتماعية في مصر وإسرائيل التي أيدت « سلام » كعب ديفيد هي أكثر القوى ارتباطا وتبعية بالمصالح والشركات الأمريكية .

الاستعمار الأمريكي :

« .. إذن ما هو الحل الذي يحقق السلام في رأيك ويتفق مع جنسياتك المصرية وديانتك اليهودية ؟ »

وأجاب شحاتة هارون بنفس منطقته اليسارى الذى يأتى
كأولوية فى تفكيره عن كونه مصريا أو يهوديا فى اطار فكرة الاممية
التي يؤمن بها :

— الحق هو مقابلة ذلك التحالف الرجعى الذى تهيمن عليه
المصالح الامريكية بكفاح مشترك بين الجماهير العربية والاسرائيلية
ضد « الاستعمار الامريكى » من أجل اقامة ديمقراطية اجتماعية
وسياسية فى كل من البلدين وفى فلسطين .

وبالنسبة لفلسطين فأتنى أصر على رفع الوصاية كلية عن
شعب فلسطين ليقرر بنفسه مصيره ، ولما كانت منظمة التحرير
انفلسطينية هى الممثل انشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى المعترف
بها دوليا ، فلهذه المنظمة أن تختار ما تراه من وسائل لحل قضية
شعبها .

● .. وهل يمكن ان تقبل اسرائيل بذلك ... ؟

— حين نتحدث عن أى شعب ، بما فى ذلك الاسرائيلى ، لا
ننظر اليه ككتلة صلبة ، وانما علمتنى الاشتراكية العامية أن
الشعب — أى شعب — ينقسم الى شعبين : المستغلين (بكسر
الغين) والمستغلين (بفتح العين) ، وللاخيرين دائما مصلحة أكيدة
فى السلام لان السياسة الخارجية امتدادا للسياسة الداخلية .
والشعب الاسرائيلى يريد السلام بغض النظر عن اتجاهات الطبقة
الحاكمة .

واذكر أننى أدليت بحديث الى جريدة « لوموند » فى ٢٤ نوفمبر
١٩٧٧ عقب مبادرة الرئيس السادات بزيارة القدس مباشرة قلت
فيه : « اننا فى مصر لن نحصل على شىء من مناحيم بيغن » واعتقد

اننى كنت مصيبا فى ذلك ، فبيغن مثال على التعصب العنصرى بكل
ما تحتويه العنصرية من عدوانية وتوسعية .

العرب دعموا اسرائيل بشريا :

● .. الا تعتبر اسرائيل نوعا من الاستعمار الاستيطانى ؟

— الصهيونية نظرية عنصرية توسعية عدوانية المضمون .
ولكن اذا كانت الجالية الاسرائيلية فى غالبيتها مازالت متأثرة بالفكر
الصهيونى فهذا لا يعنى دوام هذا التأثير . فقد سبق مثلا لعمال
وفلاحى المانيا ان تأثروا بالفكر النازى وشاركوا فى غزو الاتحاد
السوفيتى وهو دولة العمال والفلاحين ، مما يقطع بأن العمال
والفلاحين متحدو المصلحة موضوعيا على نطاق العالم ، حتى لو
وقعوا لفترة ما تحت تأثير مناهض ايديولوجيا لهذا التفكير .

اننا لا ينبغى أن ننظر الى النزاع العربى — الاسرائيلى على
انه حرب بين قوميتين ، لكن ينبغى أن ننظر اليه من خلال الاعتبارات
والانتهاكات الطبقية .

ثم أنه ينبغى ألا ،ذهب بعيدا ونتغافل عن حقيقة أساسية وهى
أن الحكومات الغربية — ومنذ قيام اسرائيل — قد عمدت الى مدها
بالطاقة البشرية عن طريق ارغام سكان دولها من اليهود على ترك
اوطانهم . وبذلك أمدوا اسرائيل بستين فى المائة من طاقتها البشرية .

● .. ما رأيك فى اليسار الاسرائيلى ؟

— انه يناضل من أجل سلام عادل فى ظروف داخلية قاسية ،
وعلى اليسار العربى أن يعاونه فى هذا المضمار .

وقلت للمحامى المصرى شحاتة هارون باعتباره واحدا من ١٥٠ يهوديا مازالوا يقيمون فى مصر دون أن يغادرها الى اسرائيل او غيرها من البلاد :

● لماذا لم تغادر مصر منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن كما فعل الآلاف

من اليهود ؟

وأجاب بنفس منطقه اليسارى :

— لأننى أدركت أن الشعب المصرى المحروم وقتها من أبسط الحقوق لن يستطيع أن يدافع عن حقوق أقلياته ، ومن بينها الأقلية اليهودية ، لذلك كان على بدلا من السعى وراء ما أسموه بجنة اسرائيل أن أشارك الشعب المصرى نضاله من أجل نيل حقوقه ليستطيع من خلال تحقيقها أن يدافع عنى وعن أية أقلية أيا كانت .. مرقبة أو دينية أو لونية .

نص حديث أجرته معى مجلة
« الوطن » الكويتية فى ٦ من
فبراير ١٩٨٥ .

يهودى لا يعتذر عن يهوديته !

انه لا يعتذر عن يهوديته .. ولم يعتذر !؟

شحاتة هارون اذا اردت ان تعرف به وجدت صفات كثيرة
يفخر بها كلها .. محام مصرى اشتراكى عامى واحد الاعضاء
المؤسسين لحزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى .. يهودى
من ابوين مصريين وجدين جاءا الى مصر من حلب وجدتين من القاهرة
والكل ينتسب لنفس الديانة ..

لكنه منذ زمن بعيد تعلم ان يكون يهوديا معاديا للصهيونية ..
متى ؟ .. فى سنة ١٩٤٦ وفى احدى زنازين سجون مصر التى عرفها
جميعا من سجن الاستئناف الى عيون موسى والقلمة ... وفى قضية
لفقتها حكومة صدقى باثا .. ويتذكر شحاتة هارون : « كانت ،
اى الزنزانة ، تضم هنرى كورييل « أستاذى ومعلمى » كما ينعتة
وتمتلىء بوطنيين مثل نعمان عاشور وعبد الرحمن الشرقاوى .. » .

هناك أيقن ان مصيره كما ان مصير ابنائه وأحفاده الآن مرتبط
بمصير شعب مصر .. وفى وقت مبكر استطاع أن يحدد من عدوه :
الاستعمار ... والرجعية بوجهها الصهيونى أو بأى وجه من
وجوهها الألف ..

نتفق معه اذن أو نختلف كواحد مننا .. يهودى مننا ..
لا منهم ! ..

يقول شحاتة هارون: ان من يرى اسرائيل الاداة ولا يرى العدو
الام فقد عمى .. ويقول : من البداية وقضية الشرق الاوسط تنبعث
منها رائحة قوية للبتروول فمنذ وعد بلفور واتفاقية سايكس - بيكو
حاولت انجلترا أن تحافظ على منابع البتروول واحتكارها لها ،
وتأسيسا على سياسة فرق تسد قسمت ولاية الشام الى دول :
سوريا- التى قسمتها فرنسا على أساس دينى الى سوريا ولبنان
واستقطعت انجلترا جزءا منها أسمته امارة الاردن : مملكة الاردن
فيما بعد كما أصدرت وعد بلفور الذى كان يهدف الى بذر بذور
الانقسام بين العرب واليهود .. وحدثت ثورة أكتوبر ١٩١٧ فى
روسيا فأضيف بعد هام بسبب المصالح الاستراتيجية الكبرى وقرب
دول العالم العربى للدولة الاشتراكية الجديدة وامكانية اتخاذ
الاراضى العربية منطلقا للهجوم عليها .. ثم سرعان ما ورثت لولايات
المتحدة ذات القوة العاتية للسيطرة الكاملة تقريبا على مقدرات هذه
المنطقة حماية لمصالحها الاقتصادية « البتروول » وكذلك للاعتبارات
الاستراتيجية التى أشرت اليها .. ويضيف شحاتة هارون قائلا :
يتعين فى رأى أن شعار اليوم يجب أن يكون الكفاح
المشترك الشعوب قاطبة ضد العدو المشترك :
الاستعمار الأمريكى وأعوانه فى الداخل : الصهيونية والرجعية
العربية ، وفى الخارج : غلول الاستعمار الاجنبى من فرنسى او
انجليزى ..

الاستعمار يتخفى .. !

● اذن ما الطرح الصحيح للصراع العربى الاسرائيلى .. هل هو صراع بين ديانتين .. أم بين قوميتين .. أم أن القضية أساسا جزء من حركة التحرر الوطنى فى العالم ؟ يقول شحاته هارون :

من أسباب تعقد مشكلات الشرق الاوسط أنه يتنازعه أكثر من صراع طبقى : الصراع الطبقى بين الاستعمار وحركة التحرر الوطنى ، والصراع الطبقى بين دول المنطقة ذات المستوى الاجتماعى المتباين ، وثالثا : الصراع الطبقى داخل كل مجتمع من مجتمعات المنطقة ، ويعلوها جميعا ويؤثر فيها بعمق الصراع العالمى بين الاشتراكية والاستعمار العالمى وأمل وكفاح الشعوب من أجل التقدم والاشتراكية .. أما القول بأن الصراع دينى أو عرقى فهو الغشاء الذى ينميه الاستعمار ليعطى به حقيقة الصراع .. ذلك أننا لو اعتبرنا أن الصراعات فى المنطقة دينية أو عرقية فلا حل للصراع الا بإزالة أحد العناصر من حيث الدين أو العرق وحتى أكون واضحا لا يمكن . افتراضا . أن يحل النزاع بقضاء اليهود على العرب مسلمين ومسيحيين أو بقضاء المسلمين والمسيحيين على اليهود فهذا امر لا يقبله العقل ولا الضمير الانسانى أو المواثيق الدولية ..

ويستطرد قائلا : ليس هناك تناقض الا أن يكون زائفا بين الكادحين والبسطاء المضحوك عليهم فمصلحة الجميع فى الواقع

واحدة كما أن مصلحة الراسمالين أيا كانت هويتهم تتلاقى في ظل
وتحت مظلة الراسمالية العالمية ، ويضيف : الذى
يعتبر فهم الجماهير لحقيقة الصراع هو التعنيم
الاعلامى ودعاية الاستعمار وذوو المصالح المرتبطة به ، ولعل اوضح
مثل لهذا هو ما جرى ويجرى في لبنان منذ سنة ٧٥ على وجه
الخصوص والذى يهدف الى تقسيم هذا البلد الى دويلات للطوائف
الدينية .

● تنشين خطا :

● وماذا ترتب أو يترتب على الطرح الخاطيء للقضية ؟

أجاب شحاته هارون قائلا : أخطر ما يترتب على الطسرح
المبنى على الدين أو العرق تحريف الجماهير عن تصويب نضالها الى
أعدائها الحقيقيين .

● نزعة سلفية وارد اوروبا :

● ما رايك في دعوى اسرائيل بأنها تمثل يهود العالم .. وما
صلة من تبقى من اليهود المصريين باسرائيل .. لمن ولاؤهم ؟ .

— يتعين علينا أن نشير الى أن الصهيونية بتياراتها ولدت في
اوروبا ، وصدرت الى الشرق الاوسط بواسطة الاستعمار ، وهى
تمثل نزعة برجوازية صغيرة سلفية ، تماما كأي نزعة تستخدم الهين
أو العرق وبسهولة تسقط وتتحول لسلاح في يد الاستعمار .

وأرى أن اليهود أو أى أقلية دينية أو عرقية لابد أن تشارك بقية المواطنين فى هذا البلد أو ذاك من أجل تحقيق الديمقراطية والتحرر حتى يمكن أن يصون الشعب - وسيصون حتما - طالما حقق بالديموقراطية والحرية حقوق أقليته ، هذا امر فى اعتقادى لا يحتاج الى شرح ، فالشعوب المظلومة تستخدم لتحريف سخطها ولتضع تحقيق حقوقها أساليب شتى منها توجيه هذا السخط نحو كبش الفداء : الاقلية . ويتعين دائما التفريق بين شعب الدولة وحكام الدولة ، وقد يكون الشعب غير واع بحقيقة الطريق وتضلل وعيه نظريات رجعية سلفية وهو ما يحدث فى اسرائيل .

يستطرد شحاتة هارون « أن ضحايا كثيرين للصراع المفتعل بين اليهود كيهود والعرب منها تلك الاجراءات والتدابير العدوانية ضد الشعب الفلسطينى .. وكذلك تلك الاجراءات التى اتخذتها الحكومات العربية ضد يهودها مما حمل هؤلاء على الهجرة الى اسرائيل كما يتضح من القرارات السرية لجامعة الدول العربية فى أوائل الخمسينات .. بالإضافة الى ما هو معروف وهو الدعاية المكثفة التى كانت تبث بين يهود البلدان العربية من قبل المنظمات الصهيونية وكذلك الاعمال الارهابية المباشرة وغير المباشرة التى قامت بها هذه المنظمات .. وكلم من مرة همسوا فى اذننى أنه يتعين على أن أهاجر من مصر لأن عبد الناصر ينوى طرد اليهود جميعا فكانت اجابتي انى مصرى فاذا وضعت عنوة على طائفة بلا حيلة لى .. وأنا أحدثك الآن فى القاهرة .

● الصراط السليم :

ويقول شحاتة هارون أيضا : ان الخلاص من افكار الصهيونية في اسرائيل هو واجب نضال التقدميين هناك ، كما ان واجب النضال ضد كافة النظريات الرجعية في كافة الدول العربية هو من واجب التقدميين فيها .

وفي ذات الوقت ينبغي محاربة العسكرية الاسرائيلية تماما كما فعل شعب فيتنام حين كان يتوجه الى الشعب الامريكى لحثه على ايقاف الحرب ، ويحارب في ذات الوقت العسكرية لاميركية ، وكان هذا — الى جانب الكفاح المسلح — الامر الذى مكّنه من النصر ..

ثم يقول : الذى أعرفه أن عدد اليهود في مصر والذى كان يجاوز المائة ألف في الثلاثينات لم يبق منهم سوى ما لا يزيد على « ١٨٠ » فردا ، والذين هاجروا لم يهاجر منهم الى اسرائيل الا ما بين ٢٠ و ٢٥ ٪ والباقي ذهبوا الى أوروبا وأمريكا .

ويضيف شحاتة هارون قائلا : أنا شخصا عملت بها اعتقد . شاركت ومازلت أشارك الشعب الذى أنتمى اليه ، ، شعب مصر ، فى نضاله من أجل تحرير . وأرى بكل تواضع أننى سلكت الصراط المستقيم أسوة ببقية اليهود فى مختلف الدول الذين يسرون على ذات الطريق .

● فى مواجهة حلف الرجعيين

● ما رأيك فى العلاقات المصرية الاسرائيلية الآن .. وما الذى تتوقعه لمستقبل هذه العلاقات ؟

أجاب شحاتة هارون :

— العلاقات المصرية الاسرائيلية تتصل اتصالا مباشرا بالعلاقات المصرية الامريكية ، ومدى النفوذ الاميركى على مقدرات مصر . وان كان هذا لا يمنع بالطبع ان تتخذ مصر سياسة رفض متواضعة تجاه سياسات حكومة اسرائيل فيما يتعلق بلبنان والقضية الفلسطينية والاراضى المصرية التى مازالت تحتلها اسرائيل ...

وهى مواقف يدفع اليها الراى العام المصرى ، واضاف :
لعلك تعلم انى ممن وافقوا ومازالوا على قرار التقسيم سنة ٤٧ ومازلت ارفض الذهاب الى اسرائيل طالما لم يتحقق تنفيذ الجزء الآخر من التقسيم اى اقامة الدولة الفلسطينية . . وارى ان مستقبل العلاقات متوقف من ناحية على موازين القوى على الصعيد العالمى ، وعلى موازين القوى داخل اسرائيل ، وداخل مصر وغيرها من الدول العربية اى ان تقوم هناك فى اسرائيل وهنا حكومات ديمقراطية متحررة من العنصرية وشعبية بكل ما تعنيه كلمة الشعبية . . ويقع العبء الاكبر فى تحقيق هذا على مدى قوة التنظيمات الشعبية الديمقراطية فى كل بلدان المنطقة وخاصة فى اسرائيل غير صهيونية ومصر ، وهذا نضال قد يطول او يقصر تبعا لجدية وقوة نضال هذه التنظيمات الديمقراطية وتضامنها لتحقيق هذا السلم الحقيقى : سلم الشعوب فى مواجهة حلف الرجعيين .

● وكيف تخرج مصر من مأزق كامب ديفيد ؟

نال شحاتة هارون : ان كامب ديفيد قد طرح كجانبنا الآن من

الولايات المتحدة ذاتها فقد أدى لها دوره ، وحل محله الاتفاق الاستراتيجى مع حكومة اسرائيل بقيادة مؤسستها العسكرية الصهيونية ، برفض اسرائيل للشق الثانى من هذه الاتفاقية 'ى حق تقرير المصير للفلسطينيين ..

أما بالنسبة لمعاهدة الصلح المصرية الاسرائيلية فهى صلح امريكى بشروط بيغن .. وهو ليس صلحا بل حريا كرسنها هدية امريكا لحكومتى اسرائيل ومصر : اسلحة بالآلاف الملايين من الدولارات عند عقد الصلح ومن بعده حتى الآن لتستخدم اسرائيل هذه الاسلحة فى لبنان وضد المقاومة الشعبية فى دول امريكا اللاتينية .. ولاحتمال استخدام مصر فى قمع مقاومة الشعوب لحكوماتها الديكتاتورية كما يحدث بالنسبة للسودان والصومال وزائير .. وتسالنى : هل هناك من مخرج ؟ .. كيف يمكن فى الظروف الراهنة التى تعيش فيها مصر وشعب مصر أن يكون هناك مخرج مع الشبكة الواسعة من القوانين المقيدة للحرية وتزوير الانتخابات .. كيف يمكن تحت هذه المظلة أن يستطيع المعادون لكاتب ديفيد أن يقوموا بتوعية الشعب بالمخاطر .. ألم نسمع عن القانون الاخير الذى حرم حتى حرق العلم ، والذى صدر اثر حرق العلم الاسرائلى فى نقابة المحامين .. حتى هذا التعبير الضيق المحدود فى أثره لم تقبل حكومتنا به .. ولكنى أعود فأقول أن المخرج كما هو دائما الشعب ومدى وعيه وتنظيمه .

● من الذى قلب ؟ !

● الحكم الحالى فى مصر الى من ينحاز ؟ .. وهل حدثت تغيرات حقيقية وليست هامشية لتوجيهات الرئاسة الحالية ؟ ..

— ان ما أسمى ثورة التصحيح فى ١٥ مايو ٧١ كان ايذانا بقلب

نظام الحكم واسسه الاقتصادية والاجتماعية فالدستور الصادر قبلها في نفس العام ينص في مادته الرابعة على أن الاساس الاقتصادي لجمهورية مصر العربية هو النظام الاشتراكي ، كما نص في مادته الثامنة على تكافؤ الفرص لجميع المواطنين ، وفي المادة ٢٣ « ينظم الاقتصاد القومي وفقا لخطة تنمية شاملة تكفل زيادة الدخل القومي وعدالة التوزيع ورفع مستوى المعيشة » أما المادة ٢٤ فهي « يسيطر الشعب على كل أدوات الانتاج » .

فهل اسس مجتمعنا اليوم هي ذات الاسس التي نص عليها الدستور .. الاجابة بالنفي القاطع ، لقد اسس نظام الحكم وذلك منذ طبقت وزارة ممدوح سالم برنامجها الانفتاحي ومن الممكن ان يتخذ هذا أساسا لتقديم هذه الحكومة وما جاء بعدها من حكومات للمحاكمة وخاصة على ضوء النصوص المادة ٩٨ .

ويستطرد شحاته هارون قائلا : لقد أصبحنا في بلد ينطبق عليه ما كان يقوله السادات عن اسرائيل من أنها تعيش على أمريكا من لقمة العيش الى الابد .. « ٧٠٪ » من خبزنا حاليا يستورد من أمريكا وسلاحنا وارد من عندها .. لقد أصبحت مصر شبه مستعمرة أمريكية تماما كاسرائيل ، ويذكرني هذا بقول شبه مستعمرة أمريكية تماما ، ويذكرني هذا بـ—————
القائل : ان معاهدة الصلح قامت بين اميركا السيد وتابعيه مصر واسرائيل كل يتنافس على ارضائه مقابل حسناته « صدقاته » .. فكيف يمكن أن تخرج مصر من أزمتها الحادة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .. هل تستطيع وقد غلت يداها برضا السادات لحساب اميركا واسرائيل وصندوق النقد الدولي

.. و .. ودون أن يقاح للشعب أن يجوع برضاء في سبيل اعمال
نصوص الدستور .

باختصار : لابد من تصفية تركة السادات تصفية تامة
وحاسمة .

● بيد الشعب :

وفي الختام سألت شحاته هارون المحامى على طريقة المحققين
والمحاميين .

● هل لديك أقوال أخرى ؟ !

قال : لا أنسى أن أقول بأنى شغوف بالسلام ، وأنا عضو
بمجلس السلام العالمى ، وأتوق وأعمل من أجل السلام العادل
في المنطقة .. سلام بين شعوب لا سلام بين حكومات رجعية تهدف
اول ما تهدف الى خدمة سيدها الاميركى لتأييد سيطرتها وسيطرته
على مقدرات الشعوب .. ولا يفوتنى أن أذكر أن عبد الناصر في
خطابه للعمال في اول مايو سنة ٧٠ قد تنبه ونبه مستمعيه الى
أن هناك في اسرائيل قطاعات ترفض السياسة الصهيونية ، وتتوق
الى السلام مما كان يوحى بضرورة الانتماء اليها والعمل معها .

● ... و ... أقفل المحضر ! .

نص مقال نشر في جريدة الاهرام
في ٥ ديسمبر ١٩٨٥ بمناسبة شروع
الحكومة العنصرية الاسرائيلية في
سن قوانين بمعاقبة اى اسرائيلى ، ايا
كان انتماءه الدينى ، بالسجن اذا اثبت
اتصاله بمنظمة التحرير الفلسطينية .
(وقد صدر القانون واعمل به)

تلقيت هذا المقال من الاستاذ شحاتة هارون
المحامى وهو مناضل فى الحركة الوطنية المصرية
ضد الاستعمار والصهيونية منذ الاربعينات .

ويعرض هذا المقال لوجهة نظر الكاتب حول
مشروع القانون الاسرائيلى لتجريم كل اتصال
مع منظمة التحرير الفلسطينية وهى وجهة نظر
تنطلق من مفهومه لامكانية الوصول الى ما يسميه
اقرار سلام عادل مبنى على الاعتراف بحق
كل شعب على العيش فى وطنه .

وكنت لا اود ان اشير الى ان المواطن المصرى
العربى شحاتة هارون يهودى الديانة ، فالدين
لله والوطن للجميع ، ولكن اعتقد ان تسجيل هذا
البعد هام فى قراءة وتقييم المقال فى هذه الظروف

لطفى الخولى

كلنا منظمة التحرير الفلسطينية

ما من شك أن الكفاح المجيد والمثابر والدامى للجماهير العربية داخل الاراضي المحتلة وفي اسرائيل ذاتها قد ساعد على أن تبنى أجزاء ، تزداد اتساعا ، من الاسرائيليين ضرورة الاعتراف بالحقوق الوطنية المشروعة لشعب فلسطين بما في ذلك الاعتراف بحقهم في دولتهم المستقلة تملأها كما حدث من قبل في الجزائر ونيقلم حيث كفاح شعبها (سلاحا وسياسة) قد ساعد على ادراك الجماهير في فرنسا والولايات المتحدة الامريكية على تبني قضية السلام والتحرير .

وامام اللقاءات العديدة التي تجرى من ناحية بين مختلف المنظمات الاسرائيلية الداعية الى السلام ، وإلى الاعتراف بحقوق الفلسطينيين ومن ناحية أخرى ممثلى منظمة لتحرير الفلسطينية اشتدت مخاوف المؤسسة الحاكمة في اسرائيل الى حد أنها اقترحت سن قانون يجرم اتصال أى اسرائيلى بالمنظمة أيا كان انتماءؤه (يهودى ، مسلم ، مسيحى) وسوف يقره ، الكنيست (البرلمان) الاسرائيلى فى الاسبوع القادم ويقضى هذا القانون بغرض عقوبة السجن ثلاث سنوات .

ان صدور هذا القانون يهدف الى محاصرة النضال من أجل
اقرار سلام عادل مبنى على الاعتراف بحق كل شعب على العيش
في وطنه .

ان المؤسسة الحاكمة في اسرائيل تتجاهل — عن عمد —
التاريخ وحركته ذلك أنها نسيت ان المؤتمر الصهيونى في ١٩١٧
(الذى حصل على وعد بلفور) وحتى اسرائيل اليوم لم يكونا أبدا
ممثلين ليهود العالم بل تمثل أقلية منهم .

هذا بينما منظمة التحرير الفلسطينية انها تمثل جميع
الفلسطينيين باعتراف يكاد تجمع عليه جميع الدول وتقره المحافل
الدولية وفي مقدمتها هيئة الامم المتحدة . وهذا ما تدركه ايضا
الجهات الاسرائيلية ومن باب أولى تخشاه المؤسسة الحاكمة
في اسرائيل .

ان استناد المؤسسة الحاكمة الى الاستعمار قد باء دائما
بالفشل ذلك أن التاريخ قد حكم على الاستعمار بالزوال ان عاجلا
أو آجلا فقد سعت وراء الاستعمار الالمانى وهزم في الحرب
العالمية الاولى واستندت الى الاستعمار البريطانى فمضى عليه
التاريخ بعد الحرب العالمية الثانية ، وهى تستند اليوم الى
الاستعمار الأمريكى الذى هزمه شعب فيتنام وشعب لبنان ولم
ينتصر الا في معركة جرانادا وهى الجزيرة التى يقطنها ١٠٠٠٠
نسمة فاستخدمت ١٥٠٠٠ من قوات الانتشار السريع أى بواقع
١٥ جنديا ضد كل ١٠٠٠ من السكان الأمنين .

وأن الشعوب ، أيا كانت الافكار التى تضللها.. صهيونية أو

فاشية ... سوف تعى وستعى وجهة الحق . والشعب الاسرائيلي ليس استثناء او شعبا مختارا ستعميه الى الابد الصهيونية العنصرية التوسعية ، والتناقضات الموضوعية التي تتحكم في مصير الشعوب (وفي مقدمتها الصراع الطبقي) كامنة في اسرائيل كما هي كامنة في كل بلدان العالم .

ان الشعوب تواقعة بالاصالة الى السلام — والشعب الاسرائيلي سيقاوم حتما سياسة الحرب التي يسلكها حكامه وسيقاوم بالحثم مثل هذا القانون الجائر المزمع سنه .

ملحوظة : صدر فعلا وطبق

دراسة عنونها
« خواطر حول الترقى الأوسط »

خواطر حول الشرق الاوسط

الجزء الاول

منهج البحث

أولاً : مقدمة :

السياسية ، كما كتب مظلوماً ، هي التوجه الجوهري للدولة وتحديد أشكاله ومهامه ومضمون نشاطه وهي عناصر تخضع جميعها للنظام الاقتصادي - السياسي القائم في كل بلد .

والسياسة أيضاً علم وفن ، الأمر الذي الذي تحتم معه ضرورة الأخذ في الحسبان للعوامل الموضوعية والذاتية معا على السواء . وتتطلب صياغة السياسة وتسييرها الاستناد الى القوانين الموضوعية للتطور الاجتماعي .

والسياسة باعتبارها علم من العلوم تستلزم ، أول ما تستلزم ، الاسترشاد بخبرة البلدان الأخرى وأخذ هذه الخبرة في

الاعتبار وهى تستلزم فى المقام الثانى ان يحسب حساب كافة القوى اى المجموعات والاحزاب والطبقات والجمهير المتفاعلة داخل كل بلد بدلا من تحديد مسار السياسة على مجرد رغبات وآراء ودرجة وعى واستعداد مجموعة واحدة أو حزب واحد للنضال .

ويجب ايضا على السياسة ذات الاسس العلمية ان تحسب بدقة وباكثر موضوعية ممكنة علاقات القوى الاجتماعية والاقتصاد والخواص المدونة فى كل لحظة تاريخية معينة .

ويتعين عند الدراسة العلمية لمجرى عمليات الحياة السياسية وظواهرها اتباع اضمن الاساليب التى لا بد منها للوصول الى الاعتقاد على محض كل مشكلة فحوصا سليما بعيدا عن التيه فى التفاصيل أو فى التباين البالغ لمختلف الاراء المخالفة . ومن أهم الشروط لدراسة العامة للسياسة الا ننسى التسلسل التاريخى الاساسى وان ننظر الى كل مشكلة من وجهة النظر التالية :

- ١ — كيف نشأت هذه الظاهرة فى التاريخ .
- ٢ — ما هى المراحل الاساسية لتطورها .
- ٣ — كيف تواجه من زاوية هذا التطور وما آلت اليه هذه الظاهرة اليوم .

ولقد قيل ايضا ان الحقيقة نسبية والواقع عنيد .

من هذا المنطلق ساورتنى وتساورنى خواطر اسمى من ورائها بلوغ الحقيقة النسبية — حقيقتى انا على الاقل — عبر

واقع ارجو ان اكون قد لمستك لمسا سلبيا .

ثانيا : الخواطر :

١ - اسرائيل - سواء رفضنا ذلك او قبلناه - واقع ارتضته الشرعية الدولية . هذا بينما المرفوض على الاطلاق هو

اسرائيل العنصرية ، العدوانية والتوسعية .

٢ - ن الدولة الفلسطينية لن تقوم لها قائمة الا اذا رضى بها

الاسرائيليون قسرا او طواعية .

٣ - ان القسر (الكفاح المسلح في الضفة الغربية وغزة ومن داخل اسرائيل) هو الواجب المقدس الملقى في المقام الاول على عاتق الفلسطينيين على ان يكون مقرونا بالكفاح السياسى اى بتوسيع رقعة الديمقراطية والتقدميين من الاسرائيليين القسابلين بانشاء دولة فلسطينية وبجلاء اسرائيل عن الاراضى التى احتلتها اثر حرب ١٩٦٧ وما بعدها بحيث تغير هذه الجبهة الاسرائيلية من الديموقراطيين والتقدميين من النهج التوسعى العدوانى والعنصرى الذى تنتجه المؤسسة الاسرائيلية وحكوماتها المتتالية . اى ان **قلب الموازين داخل اسرائيل لصالح قوى السلام .**

٤ - ان هذا القلازم والتزامن بين الكفاح المسلح والكفاح السياسى (بمعاونة قوى الديموقراطية والتقدم فى الدول العربية والعالم) قد يطول او يقصر امده تبعا لتغير موازين القوى داخل الدول العربية واسرائيل ، وكذا على الصعيد العالمى .

٥ - ان هذا التغير لا يأتى من فراغ وانما يستند الى

مقومات موجودة تحتاج الى التعميق والى المزيد من الرؤية الواقعية للظروف الذاتية والموضوعية داخل الاطراف الثلاثة معا : اسرائيل، الدول العربية والعالم . ذلك ان قوى السلام والفقير وبالرغم من تصعيد الهجمة الشرسة لقوى الحرب والرجعية - تحقق يوما بعد يوم انتصارات من حيث قدرتها على التنظيم ومن حيث اتساعها . مثل هذا مئات الالاف المشتركين في مظاهرات ضد الحرب (على الصعيد العالمى) والمظاهرات التى قامت في اسرائيل ذاتها ضد حرب لبنان واحقاجا على مجازر صبرا وشاتيلا وأن لم تتدرج بعد الى مستوى قبول دولة فلسطينية والجللاء من الاراضى المحتلة او سوف تحتل كالضفة الغربية .

٦ - ان المحذور وهو ابتكار وتجاهل ان كل شعب وكل امة تنقسم اول ما تنقسم اليه الى مستغلين (بفتح العين) ومستغلين (بكسر العين) .

وهذا التقسيم - وما ترقب عليه من صراع - هو بيئة تاريخ البشرية . ن قبل ومن بعد ان تتكون الامم وذلك وفقا للقوانين الموضوعية التى تحكم تطور المجتمعات وأهمها : ان صراع الطبقات - الى جانب صراع الاديان وصراع القوميات - هو محرك التاريخ .

٧ - ان هناك اجماع على ان منظمة تحرير فلسطين هى الممثل الشرعى الوحيد عن شعب فلسطين وان ما تتخذه من قرار فى سبيل حل قضيتها الوطنية . قرار يلتزم به الجميع ويتعين أن نرفض بشدة أية مزايدة على قرارات المنظمة

ثالثا : الواقع :

١ - ان الدماء التي سالت ومازالت ، في الشرق الاوسط (سيموا في الصراع العربي - الاسرائيلي أو الصراع العربي - العربي أو الصراع العراقي - الايراني) . (١) تفوح منها رائحة البترول (٢) ولقد سالت فيما مضى حماية للطريق الى المستعمرات البريطانية في آسيا اiban الوجود البريطانى ومازالت لحماية طرق وصول البترول الى منتفعيه منذ ان حلت أمريكا محل بريطانيا في المنطقة (٣) انها تسيل منذ نشأة الاتحاد السوفيتي « لحماية » شعوب بمنطقة الشرق الاوسط (المتخامة للاتحاد السوفيتي) من خطر « الشيوعية » أى كضائل دون تأثرها بالافكار الاشتراكية .

٢ - ان وعد بلفور لم تصدره بريطانيا العظمى رعاية وحبا لليهود أو ميلا للصهيونية وانما هو صك سياسى يخدم أول ما يخدم مصالح الامبراطورية البريطانية بزرع جسم غريب في المنطقة لتحرف نحوه وتتركز حوله تطلعات الشعوب المناضلة من أجل التحرر من الاستعمار ومن الاستغلال الداخلى .

وقد نما هذا الجسم نموہ الذاتى (بمعاونة المستعمرين) حتى أصبح دولة اسرائيل .

٣ - انه قد عاصر صدور وعد بلفور اقتطاع الاردن من ولاية سوريا العثمانية واقبمت دولة الاردن التى نمت أيضا نموها الذاتى حتى أصبح هناك الاردنيون والفلسطينيون كل يعتز بهويته . وتمثلت فرنسا بالمثل فى ولاية سوريا العثمانية وتسمتها - على أساس الدين - الى لبنان وسوريا وتمت كل من الدولتين نموها الذاتى حتى أصبح هناك اللبناني والسورى وكل يعتز بهويته .

وإذ بحت الطبقات الحاكمة في كل منها تتمايز مصالحها عن مصالح
الطبقة المقابلة في الدولة الأخرى .

وناهيك عن السعودية وإمارات الخليج حيث لن يرضى
حكامها — من ملاك البترول الواقعيين — لا أن يتولى شعوبها
التصرف في ثرواتها ولن ترضى من باب أولى أن تنقسم ما تعتبره
ملكها مع الدول العربية الأخرى اللهم إلا في حدود وفحها فتات
من الخواطر التي قد يهددها هي (أي الطبقات
الحاكمة) .

٤ — هذه هي سياسة الاستعمار : فرق تسد ، وقد تساد
وما زال يوجب النزعات القومية ويشغل الشعوب بالنزعة الوطنية
الضيقة مغيبا عنها أن عدو السوري ليس اللبناني وعدو الأردني
ليس بالسوري أو الفلسطيني وأن عدو العربي ليس اليهودي
المستغل في إسرائيل وإنما هو السيد المسيطر على مصائرهما :
الاستعمار .

٥ — ان قرار التقسيم في ١٩٧٤ رفضته إنجلترا (سيدة
المنطقة آنذاك) ورفضته الحكومات الرجعية العربية وكانت كلها
تدين بالولاء لإنجلترا .

ان هذا الرفض للتقسيم — الذي وافقت عليه الجمعية
العمومية لهيئة الأمم المتحدة باعتباره أقل الحلول سواء — قد لازم حركة
المد الثوري لشعوب المنطقة بعد الحرب العالمية الثانية واقتراح
شعاراتها الوطنية المضنون والاجتماعي فاحست إنجلترا بالخطر
يهددها واحست الطبقات الحاكمة بالخطر الاجتماعي الذي يهددها
فتضامنا معا (الاستعمار والرجعية الغربية) لحرف

التوجه السليم للشعوب نحو هدف ثانوي (اسرائيل) قبل ان تتجزأ هدفها الاساسي وهو التحرر من التبعية السياسية والاقتصادية للعدو الخارجى والداخلى .

ومن نتائج رفض قرار التقسيم الذى أصدرته الأمم المتحدة في ١٩٤٧ :

— لن يرسخ من الوجود الاستعماري في المنطقة بل بدال استعمار القديم (انجلترا) باستعمار جديد مساعد وأكثر شراسة (أمريكا) .

— ورسخ من سيطرة الحكم الصهيوني في اسرائيل وضمليه لجهايرها التي أصبحت تحكم بأبشع التيارات الصهيونية عنصرية وعدوانية وتوسعية .

— ورسخ الانظمة الرجعية العربية وسمطوتها على شعوبها .

— ورسخ من اسباب النزاع العربي — العربي (الى جانب الصراع العربي الاسرائيلي) بين نظم متفاوت اوضاعها الاقتصادية — الاجتماعية .

— شهدت المنطقة ه حروب ومجازر داخلية اوقت بحياة مئات الآلاف من سكان المنطقة واستنفذت ثرواتها في شراء الأسلحة بدلا من التنمية التي هي في أمس الحاجة اليها .

— واهم ما نتج عن رفض التقسيم ان تصافرت جهود

الصهيونية والانظمة العربية على محالولة لولاد للهوية

ال فلسطينية والدولة الفلسطينية .

٦ - أن الحكومات العربية قدمت ، هن وهي ، العون
للؤسسة الصهيونية في إسرائيل لتنفيذ مخططاتها واتخذت من
التدابير للتخلص من مواطنيها - أو المقيمين فيها - من اليهود فأمدت
إسرائيل بما يقرب من ٦٠ ٪ عتقها البشري (وقراجع هذه
التدابير في القرارات العبرية التي اتخذتها ونفذتها الجامعة العربية
في بداية الخمسينات) . وبات الفلسطينيون ويهود الدول العربية
هم الضحايا - على مستويات مختلفة - على يد الصهيونية
والرجعية العربية .

٧ - أن بعض الطلائع التقدمية فقدت القدرة على التحليل
الاجتماعي السليم وفقدت القدرة على التحليل السليم العلمي
لطبيعة المعركة الدائرة بالمنطقة كتحديد من هو العدو الرئيسي لها
لتوجيه الضربة الأساسية اليه ومن هو الخطر
المباشر الذي لا قائمة له دون مساعدة العدو الرئيسي له .
ولانه لو هزم العدو الرئيسي هان القضاء على العدو المباشر .

٨ - أن الخطر المباشر هو : الصهيونية -
والرجعية العربية وهما معا فكريا وممارسة والمعركة ضدتهما
تمارسها جميعا كل دولة من داخل دولتها .

٩ - أن هناك تلازم وتزامن بين المعركة ضد الاستعمار
والمعركة ضد الصهيونية والرجعية العربية فلن تستطيع شعوب
المنطقة خوض المعركة ضد الاستعمار دون أن تقوم في ذات الوقت
بمعركتها الداخلية .

١٠ - أن هذه المعركة ، معركة أيضا من أجل السلام
وهو بالقطع ليس بالسلام الذي يعقده ويفرضه الاسياد
وانما السلام العادل والدائم الذي ترضى به الشعوب للواعية

بمصلحتها وهو السلام الذي يعترف للشعوب المظهرة باستخدام
السلاح للحصول على حقها المقدس في الحرية والاستقلال

من هذا السلام هو الشرط الاساسي والضمان الذي لا بد منه
لكي نصلح لفتح باب خلافة ان تمتص بمصائرنا وشروطنا في يدنا متجربة
من الاحتلال الخارجي والداخلي معا

١١ - من هنا وفي مصر فان ضرورة مواصلة مقاومة
التطبيع من اسرائيل في كافة الحالات يتعين الا تحول دون مد اليد
للإسرائيليين من الديموقراطيين والتقدميين وأنصار السلام فيها الذين
يعلنون صراحة وبلا قيد او شرط (اولا) اعترافهم بحق الفلسطينيين
في تقرير مصيرهم بما في ذلك اقامة دولتهم الفلسطينية المستقلة
(ثانيا) بالجلء الفوري عن جميع الاراضي المحتلة

١٢ - علينا ان ندرك ان الاسرائيليين الذين نوهنا اليهم اعلاه
امر واقع في اسرائيل وانهم معارضون للمؤسسة العسكرية الصهيونية
واعدا لها ما دفعها الى تبني قوانين بسجنهم لاتصاتهم بمنظمة
التحرير الفلسطينية . ذلك ان حكام اسرائيل اخشى ما يخشونه قيام
سلام عادل في المنطقة .

١٣ - لا معقولة المطلق : ان الاخذ بمبدأ عدم التطبيع بشكل
مطلق (اي بما يستتبع حتى رفض الحوار مع الديموقراطيين والتقدميين
وأنصار السلام في اسرائيل يتناسى :

١ - ان اسرائيل أسوة بأية دولة من دول العالم فيها طبقات
تتناقض مصالحها (وليس ادل على هذا من اضرابات العمال
والموظفين فيها) بل وتتنازعها ايدولوجيات نتيجة للجدور
التاريخية المتباينة لسكانها من اليهود .

ب — ابان قام النظام النازي في ألمانيا استطاع الفاشيون ان يضلوا الطبقة العاملة بمقام العمال والفلاحين بالانخراط في الجيوش الفاشية التي هاجمت الاتحاد السوفيتي (اول دولة للعمال والفلاحين في العالم) والحقوا به خسائر لا توصف في الارواح وخرائب لا توصف في مدنه ومصانعه . الامر الذي يؤكد ان فقد الوعي الطبقي كان السبب . فما علينا الا ان نساعد عمال وفلاحى اليهود في اسرائيل من استعادة هذا الوعي عبر التقدميين والديموقراطيين فيها .

ج — ولن يفلح هذا التيار السلامي الاسرائيلي المفاوض لعدوانية وعنصرية المؤسسة الحاكمة فيها — على تغير موازين القوى بداخلها الابعون امثالهم في الدول العربية وتضامن جهودهما .

د — هل ينوى المنادون بالمطلق ، اى بتحرير ارض فلسطين بأكملها ، المزايدة على الممثل الشرعى والوحيد للفلسطينيين (منظمة تحرير فلسطين) ؟ وهل ينوون بموقفهم هذا تايبيد حياة اللاجئين على ما يصيبهم يوميا من قتل وجوع وتشريد ، ان العقل البشرى يرفض هذا الموقف ويبحث عن حلول ليحيى الانسان (والفلسطينى انسان بعد) حياة كريمة .

١٤ — ان هذا هو السبيل الذى سلكته الجزائر وفيتنام وكانت شعوبها تقاوم بالسلاح العسكرية الفرنسية والامريكية وتعمل على سحب الجماهير في كل من فرنسا والولايات المتحدة لقضيتها العادلة .

الجزء الثاني

حرب ام سلام ؟ اى حرب واى سلام ؟

مقدمة :

قامت اسرائيل بفارتها الائمة المجرمة على مقر منظمة التحرير الفلسطينية في تونس ولم تكن هذه الفعلة النكراء اول ولا هى آخر ما قامت وتقوم به المؤسسة الحاكمة في اسرائيل الى ان يستطيع المجتمع الدولي وضع حد لهذا او ان يحدث تغييرا في موازين القوى داخل اسرائيل ذاتها بكفاح المناضلين من اجل السلام والديمقراطية واحترام حقوق العرب في هذه الدولة شريطة ان يكون هذا الكفاح مدعوما بكفاح قوى السلام والديمقراطية في الدول العربية .

هذا واقع لا غرار منه .

اما ان نتائنا بعد كل صفقة دامية نتلقاها من اسرائيل حالة من الهياج لدى بعض الدوائر المحدودة . وان يقوم جندي هنا او هناك بقتل بعض اليهود كما حدث في تونس (وفي مصر) فلن يحل هذا اية مشكلة . بل سرعان ما تنطفئ الهوجة الى ان تاتي الصفعة الدامية التالية .

وعليتنا اذا اردتنا حلا ان نعود الى جذور المشكلة : وهو ما سمينا الى محاولة تفهمه وايجاد الحلول له .

والسؤال المطروح في هذا البحث هو هل هياجنا هذا قد يؤدي باسرائيل الى انها :

١ - ستفقد طبيعتها التوسعية العدوانية ؟

٢ - ستكف عن أن تكون أداة الاستعمار الأمريكى فى كبح جماح حركة التحرر الوطنى فى منطقة الشرق الأوسط ؟

ان الاجابة على هذا السؤال هى ، وبلا تردد : كلا والى كلاً .

فبينما مصر تتحسس وتلمس تغيير أوضاعها واعادة ترتيب أمورها الداخلية تغييراً جذرياً ..

وبينما مصر تموج بالنشاط فى هذا السبيل والاقتصاديون وغيرهم يمكنون على دراسة الحلول للخروج من أزمئنا الاقتصادية (وانعكاساتها الاجتماعية) العميقة ووسائل تنفيذ هذه الحلول .

وبينما تسعى مصر الى تكملة المشوار الذى توقف فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ (تاريخ وفاة جمال عبد الناصر) وتبنى اقتصادها الوطنى المستقل .

هنا يطرح سؤال .

وهو السؤال الذى يسبق كل سؤال والذى يتعين الرد عليه ما هى المشكلة التى تعتبر أساس كل المشاكل والتي يتعين حلها قبل أية مشكلة أخرى ؟

وهل يرضى لنا الاستعمار الأمريكى ومن معه وفى المقدمة المؤسسة الحاكمة فى إسرائيل أن تستعيد مصر أنفاسها وتبنى اقتصادها وتتقدم ؟ هل يرضى لنا هؤلاء أن تحتل مصر من جديد دورها القيادى فى حركة التحرر الوطنى فى المنطقة ؟

أن الرد على هذه الاسئلة وحل هذه المشكلات بيت القصيد
أن تكون أو لا تكون . فهل لنا من اجابة ؟

حسبنا أن نذكر والآن ننسى — أنه ، أبان انزال القوات
الامريكية في شمال افريقيا (خلال الحرب العالمية الثانية) كتبت
مجلة « آسيا » (الامريكية) في ابريل ١٩٤٢ تقول :

« لم يعد ممكنا أن يظل الشرق الاوسط بين ايدي انجلترا وعلينا
اي (امريكا) أن نسرع في وضع يدنا عليه ذلك أن من كان يبيده
الشرق الاوسط أمكنه السيطرة على أوروبا ولحسن حظنا فما زالت
الفرصة سانحة فاذا ما فقدناه (الشرق الاوسط) فلابد من أن نضحي
بحياة مئات الآلاف من الامريكيين لاستعادته والابقاء عليه بين أيدينا
بكافة الوسائل الاقتصادية والسياسية والعسكرية .

وضعت اذن الخطة الامريكية للسيطرة على الشرق الاوسط
منذ ابريل ١٩٤٢ أي قبل ست سنوات من نشأة اسرائيل
في ١٥ مايو ١٩٤٨) .

ويدرك المرء مدى الخدمة الجليلة التي لا تقدر بثمن (ثمن
« حياة مئات الآلاف من الامريكيين ») التي قدمتها المؤسسة الحاكمة
في اسرائيل لأمريكا منذ تولت وظيفة الشرطي وحارس المصالح
الامريكية في المنطقة .

ويدرك المرء أن حكام اسرائيل قبضوا مقابل خدمتهم هذه السماح
لهم بالتوسع الاقليمي عن طريق العدوان العسكري خارقين بصلف
أبسط قواعد القانون الدولي ، تحميمهم أمريكا من أي عقاب على
صعيد المحافل الدولية .

ويدرك المرء أن أهم هذه الخدمات هو السعى للقضاء على النظام المصرى القائم فى مصر منذ ١٩٥٢ كلما تأكدت إرادته وتحققت بعض الانجازات فى سبيل التحضر الوطنى العسكرى والسياسى والاقتصادى وبرز ذلك فى مناسبتين :

ومن المفارقات التى يتعين الالتفات إليها أنه فى ذات عام ١٩٤٢ قررت المنظمة الصهيونية العالمية (فى مؤتمرها بمدينة بلتمور فى أمريكا) تعديل خطتها الاستراتيجية بالاعتماد على الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن كانت تعتمد على إنجلترا .

١ — المناسبة الأولى : العدوان الثلاثى فى ١٩٥٦ وكان يهدف إلى استعادة إنجلترا وفرنسا لقناة السويس والقضاء على النظام المصرى ممثلاً فى جمال عبد الناصر وزملاءه وتقبض إسرائيل ثمناً لهذا ضمها لسيناء ، ولم يتحقق الهدف .

٢ — المناسبة الثانية : العدوان الفادر فى ١٩٦٧ حيث كلفت إسرائيل بمهمة القضاء على زعامة مصر لحركة التحضر الوطنى وهدم اللبنة الأولى للتنمية الاقتصادية .

يبين لنا من هذا العرض السريع وبما لا يدع مجالاً للشك أنه لا بناء — ولا استمرارية فى بناء — للمجتمع الذى ننشده جميعاً طالما ظلت إسرائيل فى قبضة المؤسسة الحاكمة التى توات السسلطة فيها منذ ١٩٤٨ (بل ومن قبلها) وقدمت خدماتها للاستعمار الأقوى (البريطانى) ثم الأمريكى .

هذا هو جوهر المشكلة وعليها جميعاً بعيداً عن أحلام الواهمين أو المفرضين — وكلاهما بعيد عن الجماهير أو عدوا لها — من وعى — أن نجد حلاً لهذه المشكلة .

فما لم تحل هذه المشكلة حلا جذريا واصيلا فلا أمل فى أى بناء
جدى ودائم .

ولن يخرج الحل عن أحد الاطر الثلاثة :

١ — الحرب أو ٢ — لا حرب ولا سلام أو ٣ — السلام .
الحل الأول : الحرب :

قيل أن الحرب هى امتداد لسياسة الدول — ومختلف القوى
الاجتماعية داخل كل منها بوسائل أخرى .

وللحرب مقوماتها الداخلية والخارجية .

المقومات الداخلية : وتتقضى أولا بتحديد الهدف من الحرب وأن
يكون البلد الذى ينوى خوضها ، قد أعيد الاسس المادية
(الاقتصادية والعسكرية) والاسس المعنوية (أى أن تكون الجماهير
واعية ومعبأة بأهداف هذه الحرب ومستعدة لمواجهة تضحياتها)
ذلك أن الحرب الحديثة يخوضها الشعب ولأن مساندة الشعب لها
هى التى تقرر فى النهاية مصير الحرب .

أما عن المقومات الخارجية فتتقضى بالقيام بدراسة وتقييم العدو
فالحرب وهى ممارسة للسياسة بوسائل أخرى ، تحتم التقييم
الدقيق لعلاقات القوى الاجتماعية لدى العدو والمحايد ولدى اصدقاء
طرفى الحرب وبوجه عام موازين القوى فى المنطقة وفى العالم .

**الحرب إذن ليست شعارا يطلق وانما هى حصيلة دراسات
عملية عميقة للأسس المادية والمعنوية لدينا ولدى عدونا أى لكافة
المقومات اداخلية والخارجية التى تضمن تحقيق الهدف منها
أى الانتصار فيها .**

وعليها اذا ما قررنا الاخذ بالحل العسكرى (الحرب) أن نبدا من الآن بتحديد اهدافها والاعداد لها ماديا ومعنويا ، داخليا وخارجيا لضمان الانتصار فيها تحقيقا للهدف الذى حدد لها : القضاء على اسرائيل او القضاء على المؤسسة الحاكمة فيها واقامة نظام غير عنصرى وغير عدوانى وغير توسعى .

وثمة سؤال يتعين ايجاد الاجابة عليه : هل يسمح لنا الاستعمار وهل تسمح لنا اسرائيل من أن ننفذ خطة الحرب بما يسبقها من استعدادات (بناء اقتصادى) حتى تمامها ؟ الاجابة على هذا السؤال هى أن مصر ستظل على كف عفريت لأنها الآن ليست فى حالة سلام بمعنى السلام العادل الدائم وستظل هكذا غير مستقرة مادامت المؤسسة الحاكمة فى اسرائيل باقية .

ولقد صرح عزروايزمان فى يونيو ١٩٨٠ أثناء انعقاد مؤتمر حزب « حيروت » (حزب بيجن وحزبه آنذاك) بأن :

« أى تغيير فجائى فى سياسة مصر سوف يؤدى بنا الى احتلال سيناء للمرة الرابعة والنهائية » .

الحل الثانى : لا حرب ولا سلام :

أن نقبل بحالة « اللاحرب واللاسلام » الى أن تتوافر لدينا مقومات الحرب او مقومات فرض السلام الذى نبغيه نحن لانفسنا وللפלستينيين وللدول العربية الأخرى .

والمنادون بهذا الحل الثانى يتفقون فى الواقع مع شيمون بيرز

الذي صرح في اجتماع اللجنة التنفيذية لحزب العمل الاسرائيلي
« ان اسرائيل في حاجة الى ما لا يقل عن خمسين عام من حالة الاحرب
واللاسلام حتى يتم صهر يهود اسرائيل (غربيون وشرقيون) في أمة
اسرائيلية

ذلك أن التهديد المستمر باحتمال القضاء على يهود اسرائيل
من جانب « العدو » أى التعبئة المستمرة للحرب كان الشعار الذى
استخدمته — وما زالت — المؤسسة الحاكمة فى اسرائيل لتحقيق هدفين .

١ — جمع شتات اليهود المهاجرين اليها .

٢ — استتارة يهود العالم الوقوف مع اسرائيل .

والمنادون بهذا الحل انما يخدمون أيضا الانظمة العربية التى ان
لم تكن اسرائيل قد وجدت لاحتاجوا الى خلقها أو خلق مثيلا لها
للبقاء فى الحكم وللتسلط على جماهيرهم .

وهؤدى هذا ان حالة الاحرب واللاسلام تعين حكام اسرائيل
على ذلك الانصهار . وسيظل شعب فلسطين مشتتا وسيظل التوسع
الاسرائيلي مستمرا وسيظل بناءنا للمجتمع الذى ننشده غير مستقر .

فهل ترضى الجماهير المصرية فيما يتعلق بقضاياها الحيوية الملحة
ان تظل حالة عدم الاستقرار وان يرجا تحقيق امانيتها الى اجل
غير مسمى ؟

علما بان هذا الحل يعد استسلاما للواقع وينطوى على ذيلية
لهذا الواقع .

بينما يتعين علينا أن نسعى دائما الى تغيير الواقع اذا كان يهدد في المدى القريب أو البعيد مصالح الجماهير .

الحل الثالث : السلام

الثابت المقطوع به أن السلام إما أن يكون عقدا تبادليا متكافئا وإما أن يكون عقد اذعان لشروط الطرف الآخر (مثل معاهدة السلام التي أبرمت بين مصر وإسرائيل عام ١٩٧٩) .

ويترتب على الحالة الثانية (عقد اذعان) أن الطرف الاقوى فيه قد يسعى ، فيما يسعى اليه من ورائه ، الى استخدامه كوسيلة لتحديد وشل الطرف الاضعف الامر الذي يبقى طرفي هذا « السلام » في حالة عدم استقرار وأساسا بالنسبة للطرف الاضعف فيه الذي لا يتمتع بالسلام الحقيقي ويظل مهددا (لذات شروط « السلام ») باحتمال الحرب (تصريح وايزمان) .

وهذا « السلام » الاعوج المجحف بحقوق الطرف الاضعف فيه إنما يخدم الجانب الآخر (المؤسسة الحاكمة في إسرائيل) حيث يفسح — وقد أفسح فعلا — أمامها السبيل الى البطش وليس أدل على هذا من اعتداءات إسرائيل بين ١٩٧٩ واليوم (والغد ؟) ضد الدول العربية الأخرى .

من هنا يمكن أن نقرر — وقد سبق أن قرر — وبشجاعة — أن مثل هذا السلام لا ينطوي على الاحترام المتبادل والمتكافئ لحقوق الجميع . ويتعين رفضه .

أليس هناك من بديل آخر : سلام عادل مبنى على الاحترام المتبادل والمتكافئ . لحقوق الجميع ؟ ذلك السلام الذى لا قاعدة له ولا سند سوى للشعوب : السلام الذى ترضى عنه الجماهير فى كل من مصر و إسرائيل وغيرها — السلام المبني على الجلاء عن جميع الاراضى التى احتلتها إسرائيل وعلى حق شعب فلسطين فى تقرير مصيره فى اقامة دولته وذلك لثلاثة اسباب :

١ — لأن السلام بمعنى السلام العادل سيتيح لشعوب المنطقة أن تسهم معا فى كفاح مشترك ضد العدو المشترك : الاستعمار .

٢ — لأن السلام بمعنى السلام العادل لا السلام لحساب طرف (إسرائيل) على حساب باقى الاطراف هو الشرط الاساسى للتنمية والبناء للتحرر وفى المقام الاول لديموقراطية .

٣ — لأن السلام العادل سيفقد المؤسسة الحاكمة فى إسرائيل — والرجعية العربية — قبضتها على جماهيرها .

فهناك علاقة جدلية وتبادلية بين السلام العادل وامكانية البناء والتحرر والديمقراطية حيث ستفقد النظم القائمة فى المنطقة بأسرها (شاملة نظام المؤسسة الحاكمة فى إسرائيل) فرصة التذرع بالحرب او التهديد بها لتخويف الجماهير — كل جماهير المنطقة — عن مسار نضالها من أجل مصالحها الحيوية .

ولكن ما السبيل اليه ؟ ونحن نعلم أن غالبية الجماهير اليهودية فى إسرائيل مازالت تحت تأثير عميق للدعاية التى فرضتها عليها المؤسسة الصهيونية منذ وعد بلفور ، وأساسا منذ نشأة إسرائيل ،

فهل هناك أمل في كسبها الى قضية السلام العادل ؟ كيف نعملها
سياسيا وفكريا عن المؤسسة العسكرية الحاكمة في اسرائيل ؟

هل هناك أمل في ذلك ؟ هل هذا الطريق آت من فراغ ؟ .

منذ وعد بلفور سلك هذا الطريق ، بعض التقدميين من العرب ومن
اليهود في فلسطين حيث أدركوا ان كفاحهم المشترك هو السبيل
للخلاص من العدو المشترك آنذاك (الاستعمار البريطاني) ومازالوا
يسرون حتى بعد نشأة اسرائيل على ذات الدرب .

واذا عدنا الى مصر فقد كافحت القوى التقدمية في منتصف
الاربعينات ضد استخدام الاستعمار والرجعية المصرية لقضية
فلسطين لحرف مسار الحركة الوطنية في مصر خاصة بعد اكتسابها
مضمونا اجتماعيا وادى موقف الحكومات العربية الرجعية الى
تشكيت الفلسطينيين — بالاشتراك مع الصهيونية — وتأجيل قيام
الدولة الفلسطينية .. كما تعاونوا معا (الرجعية العربية
والصهيونية) على طرد يهود البلدان العربية من دارهم وتجميعهم
في اسرائيل .

وفي ١٩٤٨ يشير عبد الناصر في «فلسفة الثورة» الى المناقشات
التي دارت بينه وبين ضابط اسرائيلى وكان همه الاول ان يجيب
الضابط على اهتمامه الاول : كيف تخلصتم (اى اليهود في فلسطين)
من الانجليز ؟ والعجيب ان السؤال لم يكن كيف نطردكم انتم من
اسرائيل ؟! .

وفي ١٩٥٥ جرت اتصالات غير مباشرة بين مصر واسرائيل
ورئيس وزاراتها حينذاك موسى شاريت فخافت المؤسسة الصهيونية

من أن تنتهى الاتصالات الى اتفاق فقام بن جوريون بفارة — غزة
(فيها أعتقد) التى أدت بعبد الناصر الى عقد صفقة الاسلحة مع
تشيكوسلوفاكيا .

وللاحساس العميق لدى عبد الناصر بضرورة السلام للبناء
وافق على قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . ثم وافق فى ١٩٧٠
على مقابلة نجوم جولدمان رئيس المؤتمر الصهيونى العالمى بينما
امترضت على اجراء هذه المقابلة جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل
آنذاك ولم تتم .

وفى خطابه فى اول مايو ١٩٧٠ بمناسبة عيد العمال طرح فيه
عبد الناصر على الجماهير العمالية صورة واضحة للقوى المعادية
والقوى الصديقة قال :

« ان هناك امواتا كثيرة حتى فى اسرائيل نفسها بدأت تحذر ضد
الطريق الوعر والخطر الذى تنزلق فيه الجماعة العسكرية الحاكمة
فى اسرائيل والتى تريد ان تجر اليها معها الشرق الاوسط كله وربما
الى ما هو اكبر من الشرق الاوسط » .

وقد شارك مجلس السلام المصطفى فى
المؤتمرات التى جمعت بين ممثلين من العرب والاسرائيليين وغيرهم
من اتحدوا على اقرار سلام عادل فى المنطقة سلام مبنى على الجلاء
عن الاراضى التى احتلتها اسرائيل فى عدون ١٩٦٧ والاقرار بالحقوق
الوطنية لشعب فلسطين فى اقامة دولتهم كشرطين اساسيين لذلك
السلام .

وقد سلكت منظمة التحرير الفلسطينية ذات المسلك وأعلن ياسر عرفات باسمها وباسم المجلس الوطني الفلسطيني . في العديد من خطبه وأبرزها خطابه في هيئة الأمم المتحدة وكذلك تصريحاته ومنها تصريحه في جريدة نمساوية ١٩٨٤ من : « أن المجلس الوطني الفلسطيني كان قد نادى بإقامة دولة فلسطينية علمانية ديموقراطية تضم اليهود والمسلمين والمسيحيين على قدم المساواة ولما أكن هذا النداء لم يجد صدى فانه يعلن انه على استعداد لقبول اقامة دولة فلسطينية في أية بقعة من ارض فلسطين تنسحب منها اسرائيل »
نشر بجريدة الموند الفرنسية في ٢٧/٣/٨٠)

ثم ذلك الحديث الذي نشر في جريدة الشرق الاوسط
١٩٨٢/١/١٩ حيث قال :

« س : ليس لديكم مانع اذن بأى شخص مستعد للاجتماع بكم ؟
ج : أعتقد أنه من المهم أن تعلمي أن المجلس الوطني الفلسطيني اتخذ قرارا بفتح حوار مع القوى الديموقراطية التقدمية وقد كرر المجلس الوطني الفلسطيني في أربع اجتماعات مختلفة عام ٧٤ و ٧٧ و ٧٩ و ١٩٨٠ استعدادنا للاجتماع مع آخرين » .

وأخيرا وليس آخرا ونتيجة للديناميكية الذاتية لعملية اقامة سلام عادل بين الطرفين المعنيين به في المقام الاول : فلسطين واسرائيل . أدلى ياسر عرفات بحديث الى مجلة الشؤون الفلسطينية أكد فيه :

ان الفلسطينيين « يسعون بكل إخلاص الى تضييق دائرة المتطرفين الاسرائيليين والى تحرير أفكار مئات تزداد اتساعا .

من الاسرائيليين « وأضيف يقول » ان الاسرائيليين بشرر
مثلنا نحن . في استطاعتهم ان يؤثروا وأن يتأثروا . ومن الطبيعى
انه ينعكس على أسلوبهم في التفكير مضى سبعة عشر عاما من
النضال المتواصل هو عمر ثورتنا » .

ثم اضاف يقول من الانيد اقامة علاقات بدلا من الحديث عن
العلاقات لأن هذا يثير المتطرفين في المعسكر بين صفوفنا وفي اسرائيل
(ترجم عن مقال في جريدة الموند في ٢٧/١/١٩٨٢) .

وايس السؤال كيف ولماذا يقبل وطنيان من طراز عبد الناصر
وعرفات السلام (لا الاستسلام لشروط بيجن) مع اسرائيل الا لانها
مدركان بعمق واخلاص أحاسيس ومطالب شعوبها من أجل اقامة
مجتمع بعيد عن الخوف . مجتمع متقدم يعيش فيه الانسان حياة
انسانية بكل معانى الانسانية .

ولقد كان لمواقفها الوطنية حقا والبناء حقا ، أن ساعد على
تمزيق المجتمع الاسرائلى وزادت من مخاوف المؤسسة الحاكمة في
اسرائيل من أن يأتى اليوم الذى تذوب فيه دولتهم
في المنطقة نتيجة للسلام اذا كان عادلا ، متكافئا .

وقد اجتذى ، عبد الناصر وعرفات ، في ذلك بسوابق تاريخية
قاتلت — خلالها الجماهير الشعبية وبلا هوادة ضد عدوان المستعمر
المغتصب وفاضلت بلا هوادة أيضا من أجل كسب الجماهير الشعبية
وفي مقدمتها الجنود لدى الدولة المستعمرة المغتصبة وظفروا بالنصر
في هذه المعركة المزدوجة الاسلوب (السلاح مع الحوار) .

هذا هو الاسلوب الذى عبر عنه ياسر عرفات فى اول خطاب له امام الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة حين قال « أن الفلسطينيين يتقدمون للعالم ممسكين بالبندقية فى يد وبغصن الزيتون فى اليد الأخرى » .

ومن أبرز السوابق التاريخية والتي اثبتت نجاح هذا الاسلوب — المتفق مع أسس حرب التحرير التي تخوضها :

١ — حرب تحرير الجزائر حيث قاتل الشعب الجزائرى — شعب المليون شهيد — ضد الاستعمار بينما كانت تدور حملة لا تقبل قوة ونشاطا وإيمانا — لكسب جماهير الشعب الفرنسى وانتهى الامر باستقلال الجزائر فى ١٩٦٤ وبالتعاون مع القوى الديمقراطية فى فرنسا ذاتها .

٢ — حرب تحرير فيتنام التي دامت قرابة الخمسين عام كافح فيها شعب فيتنام المتخلف الاستعمار الفرنسى ثم الاستعمار الأمريكى وانتصر عليهما تباعا بعد اتباعه ذات السياسة : محاربة الاستعمار فى أبشع صوره العسكرية مع النضال فى آن واحد من أجل كسب جماهير شعب فرنسا ثم أمريكا الى قضيته العادلة .

وقد نجح هذا الاسلوب الى جانب تحقيقه انتصارات عسكرية ، نجح ايضا فى كسب اوسع الجماهير فى كل من البلدين (بالاضافة الى الراى العام العالمى) فضغطت بدورها على حكوماتها وأرغمتها على عقد الصلح مع فيتنام .

لا يعنى هذا الحل الثالث بآى حال من الاحوال الاستسلام

للمؤسسة العسكرية الحاكمة في اسرائيل . بل على العكس انه يستلزم حتما شن الحرب عليها بكل الوسائل — كما يفعل الفلسطينيون اللذين مازالوا — وسيستمرون حتى النصر — يواصلون مقاومتهم العسكرية الاسرائيلية وهم في ذات الوقت يعرضون السلام على الجماهير الشعبية في اسرائيل تلك الجماهير التي هلكت وفرحت مثلما فرحت وهلكت جماهير مصر لذلك « السلام » المضلل الذي فرضه الاستعمار على مصر — مؤيدا فيه شروط بيجن — دون أن تدرك (الجماهير في كلا البلدين) مفاسد ذلك « السلام » .

لقد كان هذا السلام اذعانا للسيد/المشترك — أمريكا واتفقا من جانب اليمين في البلدين مغزاة ومؤداة أن يكون — وهو فعلا — مجافيا لآمانى شعبيهما التواقاة الى السلام العادل من أجل البناء والاستقرار .

هذا هو الحل الثالث الذى لم يستبعده لا عبد الناصر ولا منظمة تحرير فلسطين وله سوابقه الايجابية .

فهل يتفق هذا الحل وامانى جماهيرنا التى لا تسعد — ولن تسعد — من ذلك « السلام » المضلل لا بالسلام ولا بالرخاء الذى لوج لها ؟

ان الموقف من أى حل من الحلول الثلاثة التى استعرضناها مرتبط بالظروف الموضوعية والذاتية لمصر ، دولة وشعبا ، وهذه الظروف

المتغيرة دوما تستوجب تغيير الموقف أيضا دون التثبيت بحل
واستبعاد الحلول الأخرى .

وبعد فإن اتخاذ الموقف رهن أساسا بموقف الجماهير ومدى
تقبلها أو رفضها لاي حل من هذه الحلول . والجماهير المصرية بحسها
السياسي المرهف والصادق هي صاحبة القرار . ذلك أنها لم
تخطئ أبدا .

الجزء الثالث

عود الى الجذور الطبقية للصراع العربى - الاسرائيلى

مقدمة

لابد ان تطرح امامنا قضية القضايا فى عصرنا هذا : قضية السلام العالمى ونزع السلاح النووى . ذلك ان الانسانية جمعاء تواجه اليوم الخيار بين : الوجود والفاء .

من هنا الاهمية القصوى لحل المنازعات الاقليمية (العربى - الاسرائيلى ، العراقى - الايرانى وغيرها) وهى البؤرة التى قد تندلع منها شرارة الحرب العالمية النووية .

طبيعة ومضمون الصراع العربى الاسرائيلى

نرى ان الصراع العربى - الاسرائيلى فى جوهره صراع طبقي وان كان لعوامل أخرى دورا فى هذا الصراع : القومية ،

الجسارة ، التاريخ ، الجغرافيا ، الدين ، الخ ...

ومما يزيد من تعقد هذا الصراع الطبقي انه يدور على
اربعة مستويات متراكبة من الصراع الطبقي .

أ - الصراع بين الاستعمار والاشتراكية .

ب - الصراع بين الاستعمار وحركة التحرر الوطني .

ج - الصراع بين الدول العربية ذات الانظمة الاجتماعية
الاقتصادية المتباينة التطور وبينها وبين اسرائيل .

د - الصراع الطبقي داخل كل من دول المنطقة بما فيها
اسرائيل .

ونرى أن عرض مظاهر هذه الصراعات قد يفيد في الاجابة
على العديد من الاسئلة التي يطرحها البحث عن أطراف ومستقبل
الصراع العربي - الاسرائيلي .

ـ الصراع بين الاشتراكية والاستعمار :

منذ ثورة أكتوبر ١٩١٧ انقسم العالم الى معسكرين :
المعسكر الاشتراكي (يضم اليوم جميع الدول التي تبني مجتمعا
اشتراكيا وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي) والمعسكر الاستعماري
ويضم الدول الرأسمالية (وعلى رأسها أمريكا) وأخذ كل من
العسكريين بشكل قطبا عالميا ينهج حيال قضايا العالم نهجا مغايرا
ومتناقضا تماما .

فالمعسكر الاشتراكي يسعى الى السلام العالمي وإلى
مساعدة الشعوب في نضالها من أجل التحرر والتقدم الاقتصادي

والاجتماعى . اما المعسكر الاستعماري فانما يسعى اول ما يسعى الى القضاء على المعسكر الاشتراكي ويسعى ثانية الى تاييد قبضته وسيطوته على مقدرات الشعوب وخاصة شعوب العالم الثالث .

وما من شك ان ميزان القوى بين المعسكرين وحسمه سوف يقرر في الاساس (الى جانب نضال الشعوب) مصير العالم ومصير السلام .

ومن هنا أهمية تتبع ما يجرى على الصعيد العالمى بين وفى ظل المعسكرين . والثابت حتى الآن أنه من حيث الميزان العسكري بينهما فهناك نوعا من التكافؤ . ولكن هذا لا يكفى بل لابد من أن يحسم لصالح المجتمع الاشتراكي ميزان القوى الاقتصادية وهو فيما نعتقد ، فى طريقه .

ب - الصراع بين الاستعمار وحركة التحرر الوطنى :

اتخذ الاستعمار اشكالا متعددة : الاستعمار القديم : صورته : الاحتلال العسكري . وقد أدى التنازع بين المستعمرين على الاراضى المحتلة وموازين القوى بين مختلف المستعمرين ان قسم العالم المحتل لا وفقا لحدود طبيعية وانما خدمة لاهداف بعيدة المدى وأهمها بذر بذور التصارع بين الدول التى ترزح تحت نير الاستعمار لاسباب عرقية ، دينية .. الخ . وفى منطقتنا مثلا عهد الاستعمار البريطانى الى اصدار وعد بانفور فى نوفمبر ١٩١٧ الذى يعتبر شهادة ميلاد دولة اسرائيل .

كما قسم بلاد الشام الى اربعة دول : سوريا ، لبنان ، الاردن ، وفلسطين . أما الاستعمار الجديد فهو اخطر من

الاستعمار القديم لأنه قد لا يلجأ الى الاحتلال المباشر وإنما أسلوبه السيطرة عن طريق التغلغل الاقتصادي والتحكم في مقدرات الشعوب بهدف السيطرة على ثرواتها الطبيعية (البترول مثلا) .
واليوم نرى أن غالبية دول المنطقة تابعة للاستعمار الجديد بقيادة أمريكا ، التي استطاعت أن تخضع لتتوقعها غالبية حكومات المنطقة . مما يعرقل نضال الشعوب من أجل التحرر .

جـ - الصراع بين الدول العربية ذات الأنظمة الاجتماعية الاقتصادية المتفاوتة المستوى وبينها وبين إسرائيل :

أدى تقسيم المنطقة الى دول على أسس لا تتفق وتاريخ شعوب المنطقة ان نشأت في كل من هذه الدول طبقات أخذت تنمو بما يتفق ومصالحها الانانية (البعيدة عن مصالح الشعب) ولا ترغب في أن تقاسم هذه المصالح مع الطبقات المقابلة لها في الدول الأخرى مع الأخذ في الاعتبار عدم التكافؤ في نمو كل منها (ليس أدل على هذا من فشل الوحدة بين مصر وسوريا) ،

أما التناقض بين هذه الدول العربية وإسرائيل فإنه نابع أيضا — الى جانب الأسباب التاريخية والقومية والدينية من احساس الطبقات الحاكمة في الدول العربية (دول المواجهة على الأقل) بالخوف من قوة الطبقات الحاكمة في إسرائيل ذات الارتباط (العضوى) بالمصالح الاستعمارية العاتية .

ونرى أن اتفاقية كامب ديفيد ومعاهدة الصلح بين مصر وإسرائيل قد أبرمتا لأجل الطبقات الحاكمة في مصر — بعد تبعيتها لأمريكا — في أن تحظى بما تحظى به إسرائيل من مساعدات أمريكية . ويقابل « مصالح » الطبقات الحاكمة في كل من مصر

واسرائيل تصالح بين الشعوب .

د - الصراع الطبقي داخل كل من دول الصراع العربي - الاسرائيلي :

ويتخذ هذا الصراع اشكالا متباينة وفقا لتباين النمو الاجتماعي - الاقتصادي في كل بلد .

ويتميز هذا الصراع في وقتنا هذا بالقبضة القوية للطبقات الحاكمة .

ويتميز أساسا بالانعدام الديموقراطية أو بصورة ديموقراطية مخجبة أو بما يسمى بديموقراطية ذات انياب (أو عضلات) الامر الذي يعرقل تحرك الجماهير .

ويتميز أيضا بانحدار خطر لظروف معيشة الجماهير .
أما فيما يتعلق بالفلسطينيين فالصراع يتسم بالتعقيد الناجم عن الشقات

فهناك فلسطينيو اسرائيل
وهناك فلسطينيو الاراضي المحتلة
وهناك فلسطينيو معسكرات اللاجئين في اسرائيل ، في الضفة ، في الاردن في سوريا ولبنان .

وهناك فلسطينو الخليج وامريكا واستراليا
واذا كانت قضية التحرر الوطني هي الرابط بين هؤلاء الا ان نظرتهم الى هذا التحرر قد تختلف وفقا لظروف كل من هؤلاء (وهذا يفسر لنا مثلا الاتفاق الاردني - الفلسطيني الذي تدعمه الطبقات الغنية في الضفة والاردن حيث بالنسبة اليها

مادامت مصالحهم باقية فلا حرج من أن يعيشوا في ظل الاردن) .

— اليوم في المنطقة تنحصر المقاومة المسلحة في الضفة
وغزة واسرائيل وايضا في لبنان .

— واذا كانت منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعى
الوحيد لشعب فلسطين .

وكادت المنظمة تجمع على مواصلة الكفاح المسلح
مع مواصلة الكفاح السياسى بما في ذلك محاوره الاسرائيليين الذين
يعلنون موافقتهم على اقامة دولة فلسطينية ولو صرحوا بصهيونيتهم
فنرى ان نساندهم في كفاحهم المزدوج (المسلح والسياسى)

— ولن تستطيع شعوب المنطقة وخاصة الشعوب العربية
المشاركة في حل النزاع العربى — الاسرائيلى الا من خلال
نضالها في كل من بلدانها لتحصل على حقوقها المهضومة او
التضامن الفعلى مع منظمة التحرير الفلسطينية .

— ان اسرائيل (ومن قبلها الحركة الصهيونية) اعتبرت
دائما على اقوى المستعمرين لتحقيق اهدافها واليوم لم يبق لها
سوى الاستعمار الامريكى فكما ضعف بفضل كفاح شعوب المنطقة
كلما ضعفت دعائم اسرائيل . هذا مع الوضع فى الاعتبار الاول موازين
القوى على الصعيد العالمى التى تلعب وسوف تلعب دورا حاسما
الى جانب نضال الشعوب .

والخير ليس أخيرا ...

في ١٩٧٩ ، وأثر التوقيع على اتفاقية كامب ديفيد ومعاهدة « الصلح » المصرية - الإسرائيلية ، علمت أن إيجال يادين ، نائب رئيس وزراء إسرائيل آنذاك ، كان ، بمناسبة وجوده بالقاهرة ، سيؤدي صلاة مساء الجمعة في المعبد اليهودي بشوارع عدلى وصممت على أن أصارحه بشعوري كمصري في معاهدة « الصلح » سألته الذكر ، ودخلت المعبد (بعد تفتيش دقيق ، غير رقيق) وتقدمات مباشرة إلى إيجال يادين وقلت له : « اني كمصري أرى أن المعاهدة مهينة بكرامة شعب مصر » .. وسرعان ما التفتن حولي رجال الأمن من إسرائيليين ومصريين وحالوا بيني وبين مواصلة التفوه باحتجاجي وتابعني بخارج المعبد رجال مباحثنا .

وكانت العاقبة ... (ويؤس العاقبة)

انه ، في فجر ١٦ من أغسطس ١٩٧٩ ، اقتحم زوار الفجر منزلي ، بصحبة أحد وكلاء نيابة أمن الدولة وكنت غائبا عن المنزل . وقتلوا ابنتي « ملجدة » التي كانت ترتدي ملابس النوم ورفض وكيل

النيابة الموقر ابراز امر التفتيش ، وقطع سلك التليفون كما رفض أن تقوم ابنتى بارتداء ما يستر جسدها ، وفتش بلا رحمة منزلى ويعثر محتوياته وجمع تسع صناديق من الكتب والمطبوعات وغيرها ... دون تحرير محضر لتوقع عليه ابنتى .

وما أن علمت بما حدث قررت أن اظل مختفيا وظللت هكذا لمدة تزيد عن ثلاثة أشهر يحمينى أبناء شعب مصر الابى ، الشجاع الى أن قررت تسليم نفسى ...

ومضت بضعة أشهر على هذه الواقعة المعروفة باسم القضية رقم ٧٩/٦٣٢ أمن دولة عليا (الجناية ٨٠/٢٦٦٨ عابدين) وصدر قرار الاتهام وكنت من بين المتهمين التسع الاول التى طلبت النيابة الحكم عليهم بالاشغال الشاقة المؤبدة . ؟ ؟ ؟

وئكن فى مصر قضاة ، حصن الشعب المنيع .. واذا بمحكمة امن الدولة العليا تحكم لى ولغبرى بالبراءة فى مايو ١٩٨٦ .

وانتهى هذا الفاصل من حياتى ولم يجد بعد جديد . وأرجو الا يعقب صدور هذا الكتيب اجراء ما ...

رقم الايداع ٨٨/٢٧٣٢

دار اسوان للطباعة

هذا الكتاب :

أن يولد المرء مصرياً يهودياً
فهذا قدره وأن يعيش منذ مقتبل
عمره في ظروف الصراع العربى
— الإسرائيلى فقد يدعو هذا القدر
وهذه الظروف إلى أن يغلب أحد
مكونيه على الآخر أو يقبل العيش
بهما معاً .

بينما لو أضاف إلى قدره
الموروث والظروف المفروضة ،
نظرة واعية بالقوانين الموضوعية
التي تحكم المجتمع البشرى ، فإنه
يدرك عندئذ أنه إنسان ، وإنسان
حيثما وجد وهذه النظرة هي التي
أوحت دستور هذا الكُتَيْب .

١٥٠ قرش محلى

الثلث : ٢٥٠ قرش تصدير

Bibliotheca Alexandrina



0208071

962

8